الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كليـــة: الآداب والحضارة الإسلامية

قســـم: اللغة العربية

تخصص: إعجاز القرآن والدراسات البيانية

رقم التسجـــيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

أثر الفاصلة القرآنية في التوجيه النحوي

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في إعجاز القرآن والدراسات البيانية

إعداد الطالبة:

نورالهدى بوشبورة

إشراف الدكتورة:

ذهبية بورويس

لجنة المناقشـــــــة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
أ.د.رابح دوب	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة	رئـــيسًا
د.ذهبية بورويس	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة	مشرفًا ومقرّرًا
أ.د.ناصر لوحيشي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة	عـــضوًا
د.امحمد بن نبري	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوًا

السنـــــة الـــجامعية: 1432–1433هـ/2011–2012م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ
ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا
عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾

[فصلت: 3–5]

جامعة الشيخ عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهـــــداء

إلى من زرعا في نفسي حب العلم والعمل

والدي الكريمين

نوّرهما الله بنوره

وإلى من يشدون أزري إخوتي وأخواتي

حفظهم الله بحفظه

إلى من يشاطرني السّراء والضراء زوجي

أكرمه الله بفضله

وإلى كل محبّ للغة القرآن

أهدي جنى اليدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

أتوجه بالحمد والثناء إلى من أسبغ عليَّ نعمه ظاهرة وباطنة

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

فالحمد لله الجليل ثناؤه، الجزيل عطاؤه، الذي يسَّر من العسر وقرَّب من النّجاح، وقدّر من الصّلاح، أحمده ربي على ما منحني من جهد، وأعانني لإتمام هذا البحث، فله الحمد كلّه في الأولى والآخرة.

وإقرارا مني بالفضل والجميل أتوجه بالشكر الخالص إلى أستاذتي الكريمة: الدكتورة/ ذهبية بورويس ــ حفظها الله ــ على تفضُّلها بالإشراف على هذا البحث، فجزاها الله عنّي كل خير ورزقها الإخلاص، ونفع بعلمها الطلّاب والباحثين.

كما لا يفوتني أن أتقدم – سلفاً – بوافر الشُّكر إلى السَّادة الأفاضل أعضاء اللّجنة المناقشة الموقَّرة، لتفضُّلهم بقبول مناقشة هذه المذكّرة، أسأل الله أن يوفقهم لما فيه الخير والصلاح، وأن ينفعني بتوجيهاتهم القيّمة التي من شأنها أن تزيد البحث تنقيحًا وضبطاً.

كما أوجه شكري إلى كلّ أصحاب الفضل من الأساتذة و الأصدقاء و الزملاء راجية من الله توفيق الجميع لما فيه الخير.

وأتوجه بالشّكر كذلك إلى كل القائمين على إدارة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، خاصةً منها كلية الآداب والحضارة الإنسانية، والشّكر موصول أيضا إلى كل عمال مكتبة أحمد عرورة ومكتبة بن زغدة بالجامعة فلهم منّي أسمى معاني التقدير والاحترام.

الطالبة: نورالهدى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقَدِّمَةٌ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله ربّ العالمين، غافر الذّنب و قابل التّوب شديد العقاب ذي الطّول لا إله إلا هو إليه المصير، الحمد لله الذي أودع في كتابه أسرار البيان، وجعله علما على معالم الهدى ورسالة خالدة على مرّ الزمان وتعاقب الأيام ليبقى خالدًا إلى يوم الدّين.

دعا القرآن العرب إلى أن يأتوا بسورة من مثلة، و شمل هذا التّحدي قصار السّور كما شمل طوالها، فهو تحداهم بسورة الكوثر و الإخلاص و النصر أو بآية يختاروها، ومن المعلوم أن العرب لم يحاولوا أن يفعلوا ذلك لعلمهم بعجزهم عنه، ورأوا أن سبيل الحرب و الدماء و تجميع الأحزاب أيسر عليهم من مقابلة تحدّي القرآن.

ومن الثابت أن القرآن كان يأخذهم بروعة بيانه، فسعوا إلى أن يحولوا بين القرآن وأسماع النّاس لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النّفس أثرًا بالغًا.

ذلك لما للقرآن الكريم من أسلوب إيقاعي تبرز فيه روعة الأداء و جمال الإيقاع، بما يملؤه من سحر و بيان وانسجام صوتي وتناسق فنّي بين كلماته وآياته، وتعدّ الفاصلة القرآنية واحدة من أبرز الظواهر التي جاءت عليها صور النّظم القرآني، من حيث التزام رؤوس الآي التزاما مطردا، سواء كان هذا الالتزام بالحرف نفسه أم بحرف يشاكله ويقارب مخرجه، فالفاصلة القرآنية ظاهرة واضحة المعالم في الهيئة التي جاء عليها القرآن، والتي انفرد بها عن أن يكون نثرا أو يكون شعرا، و قد كادت الفاصلة أن تجعل كتاب الله عز وجل نحوا جديدا، لشدة ارتباطها ببنية الجملة نحويًا وتركيبيًا، فالالتزام بها يتحكم في بنية الجملة و تركيبها، من تقديم وتأخير أو حذف وذكر وغيرها، فيكون لها بذلك الأثر الواضح في الظواهر النحوية المختلفة.

ومن هنا تبرز لنا أهمية هذا البحث، لما لهذه الظاهرة الإيقاعية من أثر في الخروج عن القياس النّحوي في بعض المواضع، لتحقيق التوافق الصوتي بين اللفظتين دون اعتداء على المعنى أو تجاوز الدلالة، وبذلك يتأكد أهمية التوازن الإيقاعي الذي تحققه لنا الفاصلة في تحليل النموذج القرآني، لأنه مبني على نظام صوتي دقيق تأبى الأذن السماعية معارضته أو الخروج عنه، وقد أجمع علماء النحو على أن الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر، وأهمية الفاصلة تبرز وتتضح في إعجازها فقد قيل"تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام".(السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص97).

وكان ممّا قوّى عزمي ودفعني إلى التّمسك بهذا النوع من الدراسات اللّغوية القرآنية، جملة

من الأسباب أهمها : الرغبة في التعمّق في دراسة القرآن الكريم ومعانيه، والكشف عن بعض أسرار إعجازه اللغوية، فآثرت بذلك هذا البحث الذي يصب في الجانب النّحوي بمستوياته المختلفة، الصّوتية والصّرفية والوظيفية من جهة، والأسرار البيانية من جهة أخرى، سيرًا على نهج إمام البلغاء عبد القاهر الجرجاني الذي حاول محاولة لم يسبق إليها في الربط بين المعاني الصّرفية والنّحوية للألفاظ و علم المعاني لإبراز إعجاز القرآن من خلال نظمه .

وموضوع الفاصلة القرآنية من الموضوعات التي أثارت حفيظة العلماء ومثلت عندهم إشكالا مثيرًا يستحق النظر و المتابعة، وثار حولها جدل واسع، وتصدى لها مجموعة غير قليلة من العلماء و الباحثين القدماء و المحدثين، بعضهم وقف عند تعريفها، وبعضهم الآخر ربط بينها وبين الأسجاع، وقد ضرب المتأخرون بسهم أوفر في هذا الباب، فأولوا عناية فائقة بموضوع الفاصلة القرآنية معتبرين الإعجاز الإيقاعي أعمّ وجوه الإعجاز وأشملها لهذا الكتاب العزيز، وفي مقدمة هؤلاء أديب الإسلام الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب"، وسيد قطب في كتابيه الموسومين بـــ "التصوير الفني في القرآن" و"في ظلال القرآن"، ومحمد الحسناوي في كتابه "الفاصلة القرآنية"، وعبد الفتاح لاشين في كتابه "من أسرار التعبير في القرآن"، ومعظم هذه الكتب تكاد تكون دراسات بلاغية، تحدّث فيها أصحابها عن الفاصلة والسجع وأنواع الفواصل والدور الذي تؤديه في التصوير و روعة التعبير.

أما الدراسات الأكاديمية التي وقفت عليها، فقد عنَت في مجملها بالجانب الصوتي والإيقاعي الذي ينتج عن الالتزام بالفاصلة، منها رسالة ماجستير بعنوان: "جماليات التصوير الفني في سورة الكهف" للطيفة عثماني، حيث خصصت في رسالتها مبحثا للحديث عن الفاصلة القرآنية ودلالاتها الإيقاعية وجمالياتها من خلال التطرق إلى كل من جمالية الفاصلة و جمالية الإيقاع الموسيقي لها، إضافة إلى رسالة ماجستير بعنوان "الأبعاد النفسية في البلاغة العربية" لصبرينة ناوي، تناولَت فيها تعريف الفاصلة وأشارت إلى الذين نفوا السجع عن القرآن وإلى من أثبتوه فيه، مع بيان التأثير النفسي الذي تحدثه الفاصلة والإيقاع، كما وقفت على رسالة دكتوراه بعنوان"بنية الإيقاع في الخطاب القرآني" لعبد الرحيم عزاب، وقف في الباب الأول على المستوى النحوي، حيث ركز فيه على إيقاع الفاصلة ضمن فصلين درس في الفصل الأول الفاصلة بين النّظم والسياق الذي ترد فيه و تطرّق إلى أبرز أسرار ودقائق الإيقاع في الخطاب القرآني المرتكزة في

مساحة كبيرة من فنيات التعبير، أما في الفصل الأخير من بحثه فتعرّض إلى البنية الصوتية للفواصل في ضوء جدلية التراث و الحداثة، و المرتكزات الصوتية للفواصل بداية من الحروف المستخدمة في الفواصل إلى تغيير بنية الكلمة لأجل الإيقاع.

ومن هذا المنطلق فقد سعيت إلى إكمال الجهد بدراسة جانب آخر من إعجاز القرآن وهو الجانب اللغوي أو ما يسمى بالنحو القرآني، الذي لا يرتكز كثيرا على التقعيد و الصناعة الإعرابية وإنما يلتفت إلى ملابسات نظام الكلام كما هو عند النحويين الذين استقرؤوا النصوص في التأصيل على أساس أن النحو نظام لغوي متكامل، وذلك من خلال ما تقوم به هذه الظاهرة الجمالية من تغيير في بنية الجملة وتركيبها، وما تتركه من وقع على الأسلوب يحتم الخروج على القاعدة النحوية والتضحية بما هو مألوف منها، وقد ارتأيت أن أطلق على هذه الدراسة عنوان "أثر الفاصلة القرآنية في التوجيه النحوي "لأنني أهدف إلى بيان ما تحدثه الفاصلة في الظواهر النحوية على وجه الخصوص، وليس الهدف من بحثي أن أدرس الفاصلة القرآنية ومواضعها وأنواعها، ولعلّ هذا ما جعلني أخصّص مدخلاً للحديث عن الفاصلة في حين خصّصت ثلاثة فصول لبيان أثرها في التوجيه النّحوي و الصّرفي.

وقد اقتضت طبيعة بحثي أن أتّبع منهجا يتّسم بالوصف والتحليل، فالمنهج الوصفي لأنه يعنى ببيان المادة كما وردت في مصادرها، والمنهج التحليلي الذي يهتم بتحليل المواضع التي جاءت فيها الظاهرة مرتبطة بالمعنى الوظيفي للجملة، وتحديد البناء اللّغوي لها بوصفها معجزة بنائية وبيانية في الوقت نفسه.

وعلى هذا الأساس جاء البحث مقسّما إلى مقدمة مهدت فيها للموضوع، ومدخل وثلاثة فصول عرضتها على النحو الآتي :

المدخل: الفاصلة القرآنية و بنيتها الإيقاعية، وفيه عمدت إلى التعريف بالفاصلة القرآنية عند المشتغلين بدراسة القرآن من علماء الكلام و اللّغويين والأدباء و المفسرين، مُشيرةً إلى موقفهم منها، ثمّ استقصيت الحروف المستعملة في خواتم الآيات، من خلال إدراجها في جدول إحصائي و التعليق عليه، وبعدها بيّنت قيمة حروف المدّ واللّين في الفاصلة القرآنية، وفي نهاية المدخل تحدّثت عن دور الفاصلة القرآنية في التناسق الصوتي و الدلالة على المعنى، بما يحقق مناسبة صوتية ينتج عنها إيقاع فنّي جميل يحتم في بعض المواضع الخروج عن نظم الكلام المألوف في الاستعمال

اللّغوي.

الفصل الأوّل: جعلته للحديث عن أثر الفاصلة في ظاهرتي التقديم و التأخير والحذف، مقسّمة إيّاه إلى مبحثين :

المبحث الأول: تناولت فيه ظاهرة التقديم و التأخير، فدرستها دراسة بيّنت فيها أهمية التقديم والتأخير و عناية النحاة و البلاغيين به، وأنّ له قيودًا و ضوابط تحكمه، وذكرت بعض الأسباب الداعية إليه، وأشرت إلى أنّ مراعاة الفاصلة القرآنية في النّظم سبب من الأسباب الداعية إليه، فشرحت هذا الرأي و فنّدته بالأمثلة .

وأما المبحث الثاني : فقد تناولتُ فيه ظاهرة الحذف في الدرس النّحوي، مبيّنة أسبابه و دواعيه و المقصود منه في النّص القرآني، وذكرت شروطه، كما عمدت إلى بيان الفرق بينه وبين بعض المصطلحات كالإضمار والتقدير، وبيّنت الوظيفة الأساس التي يؤديها الحذف في النسق التعبيري بما يثري الجانب الدلالي ويوفر له المستوى الإيقاعي الذي ينمو فيه، وبذلك كشفت في هذا المبحث عن الوظيفة الدلالية والصوتية التي يتيحها الحذف في سياقات الفاصلة القرآنية .

الفصل الثاني :خصّصته للحديث عن ظاهرتي الزيادة و التضمين، فجاء الفصل مقسّما إلى مبحثين :

المبحث الأول :تحدّثت فيه عن ظاهرة الزيادة من حيث كونها شكلاً من أشكال العدول عن الأصل في اللغة العربية، مبيّنة ما تؤديه هذه الظاهرة من فوائد دلالية ومعنوية ولفظية في السياق القرآني، كما ذكرت الخلاف الذي دار بين العلماء حول وجود الزائد في القرآن الكريم وعدمه، وبعدها ركّزت على ما تتركه الفاصلة القرآنية من أثر في هذه الظاهرة اللّغوية .

في حين عمدتُ في المبحث الثاني إلى دراسة ظاهرة لغوية أخرى مشهورة في الدرس اللغوي هي ظاهرة التضمين، التي تناولتها بالتعريف وذكرت فوائدها، وبيّنت الفرق بين مفهوم التضمين عند علماء النحو وعلماء البيان، كما تعرضت للخلاف الذي دار بين البلاغيين والبيانيين حول مسألة نيابة الأفعال و الحروف بعضها عن بعض أو تضمن بعضها بعضا، أم إنكار ورود ذلك في القرآن الكريم، ثم بعدها ذكرت المواضع التي قيل فيها بالتضمين في سياقات الفاصلة القرآنية .

الفصل الثالث :بعدما تحدّثت في الفصلين السابقين عمّا تحدثه الفاصلة من أثر في الجانب

النحوي الدلالي للّغة، ارتأيت أن أخصّص هذا الفصل لبيان أثر الفاصلة في الصّيغ الصرفية والتراكيب النّحوية، فجاء الفصل مقسّما إلى أربعة مباحث:

المبحث الأوّل و الثاني ركّزت فيهما على ما تتركه الفاصلة القرآنية من أثر في الاختلاف بين التذكير و التأنيث و العدد، وذلك من خلال إحلال المذكر محل المؤنث أو العكس، أو إحلال المفرد محل المثنى أو إحلال الجمع محل المفرد وغيرها من العلاقات .

وأما المبحث الثالث فقد عمدت فيه لدراسة قضية الممنوع من الصّرف، وكيف أن التعبير القرآني قد يلجأ إلى صرف مالا ينصرف مراعاة لسياق الفاصلة القرآنية .

في حين خصّصت المبحث الرابع و الأخير من الفصل الثالث للكلام عن ظاهرة الاستغناء ببعض الصّيغ والتراكيب عن غيرها، على أساس أنّ قضية الاستغناء يغلب فيها أن تكون اختيارًا للألفاظ التي يقل استعمالها والتي تُؤثر على غيرها ممّا هو شائع مستعمل في القرآن أو لغة العرب، ولا شك أنّ ما يُلجئ إلى القليل النادر مُؤثرًا إيّاه على الكثير الشائع أمر يستحق الالتفات من الدّرس السّياقي لتتبّع ذلك والبحث عن دلالاته.

وفي الأخير أنهيت البحث بخاتمة جمعت فيها النتائج التي تمّ التوصل إليها، ثم ذيّلته بفهارس للآيات و الشواهد الشعرية وفهرس الموضوعات .

وقد اعتمدت لإنجاز بحثي على مجموعة من المصادر و المراجع التي اتّسمت بالتّنوع لتنوع القضايا المتصلة بهذا الموضوع في النّحو والصّرف والتفسير والبلاغة والأصوات أهمها: كتاب" الإتقان في علوم القرآن" للسّيوطي، وكتاب "البرهان في علوم القرآن" للزّركشي، وكتاب"معاني القرآن " للفرّاء و"الكتاب "لسيبويه، و"الخصائص" لابن جنّي، و"مغني اللبيب"لابن هشام، و"النحو الوافي "لعباس حسن، وكتاب"دلائل الإعجاز" للجرجاني، و"المثل السائر" لابن الأثير ، وغيرها من المصادر النحوية و البلاغية . واعتمدت من التفاسير أقربها لتناول الموضوع من الناحية النحوية و الدلالية أهمها تفسير "الكشاف" للزمخشري، و"البحر المحيط "لأبي حيان، و" التحرير و التنوير" لابن عاشور .

أمّا من الكتب الحديثة فقد اعتمدت على كتاب "من أسرار التعبير في الفاصلة القرآنية " لعبد الفتاح لاشين، وكتاب "الفاصلة في القرآن" للحسناوي، وكتاب الإعجاز البياني "لعائشة عبد الرحمن، و"التناسب البياني"لأحمد أبوزيد، وكتاب "المناسبة في القرآن"لمصطفى شعبان، وأهم

مرجع اعتمدت عليه و الذي سرت على نهجه كتاب "فواصل الآيات القرآنية" للسّيد خضر، وكتب أخرى...

وقد جرت العادة أن يعرج الباحث في مقدمة بحثه إلى ذكر الصعوبات التي اعترضته، وقد لا يتوقف قلمه عن سردها، ولكنّني أرى المصاعب التي اعترضت سبيلي تحصيل حاصل، فإنها وإن كانت كثيرة فإنّها تعدّ دافعا للإبداع و المثابرة، ولولاها لما خرج البحث في نهايته على هذه الصورة، التي آمل أن تكون غيضا من فيض سابقين ولاحقين لم يألوا ولن يألوا جهدا في خدمة لغة القرآن .

ولا يفوتني في هذا المقام اعترافًا بالجميل و تقديرًا للجهد والبذل والعطاء التّقدم بالشّكر والتّقدير والعرفان إلى أستاذتي الفاضلة وأمي الرّؤوم الدكتورة: ذهبية بورويس، التي كان لها فضل إنجاز هذا العمل وإخراجه على هذه الصّورة، فلطالما كانت توجيهاتها وملاحظاتها العلمية نبراسًا أضاء طريق البحث وسدّد خطاه المتعثّرة في بعض الأحيان.

كما أتقدّم بالشّكر الوافر إلى كل من شجّعني و أعانني على إنجاز هذا البحث لاسيما إخوتي وزوجي، وأثنّي بالشّكر الموصول للجنة المناقشة و أساتذتي الأفاضل الذين تفضّلوا بقراءة هذا العمل ومناقشته وإبداء الملاحظات و إسداء التوجيهات .

وقد بذلت من الجهد في هذه الدّراسة ما استطعت، غير أنّ ذلك لا يعني بلوغ درجة الكمال الذي يصبو إليها كل باحث، كما لا يعني خلوّها من مواطن النّقد و الاستطراد، وحسبي أنّها جهد بشري، فما فيها من توفيق فمن الله، و ما فيها من زلل فهو من العجز والنّقص البشري .

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت و هو ربُّ العرش العظيم .

المـــــدخـــــل:

الفاصلة القرآنية وبنيتها الإيقاعية

ـ تعـــريـف الفاصـــلة القـــرآنـــيـة.

ـ موقف العلماء من الفاصلة القرآنية.

ـ حـــــــروف الفاصـــلة القـــرآنية.

ـ قيمة حروف المدّ واللين في الفاصلة القرآنية.

ـ مراعاة النّـظـم القـرآني للمناسـبة الصّـوتية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

للنّص القرآني خصوصية متفردة في شتى أركانه وفي جميع نطاقات عمله في تراكيبه وجمله، في كلماته ومفرداته، وفي نهايات آياته، وفي كل ما يتعلق به، هذا التفرد لابد من البحث في وسائله وسبله، للوقوف على أسرار الإعجاز فيه التي من بينها الإعجاز في توظيف الفواصل القرآنية، تلك الفواصل التي تحمل ألوانًا إعجازية ودلالية بالغة الدّقة والجمال .

1 ـ تعريف الفاصلة القرآنية :

أ- في اللغة:

لمادة "فصل" في اللغة العربية معان متعددة نذكر بعضا منها فيما يأتي :

الفصل: بون مابين الشيئين، والفصْل: الحاجز بين الشيئين، فصَل بينهما، يفْصل، فصْلاً، فانفصل.

وفصلت الشيء فانفصل أي: قطعته فانقطع، والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وعقد مفصل: أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، والتفصيل: التبيين، وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمترلة قوافي الشعر، واحدها فاصلة .

وجاء هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿بِكِتَٰبٍ فَصَّلۡنَٰهُ﴾ [1]، الذي يحمل معنيين :أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني في فصلناه بيّنّاه.[2]

وخلاصة الرأي اللّغوي فيما يخصّ الفاصلة، أنّها الفصل بين شيئين متصلين [3]فهي تدلّ على خاتمة كل جزء من الأجزاء، يمضي هذا الجزء و يأتي آخر.

ب- في الاصطلاح:

وردت لها تعريفات مختلفة عند كل من اشتغل بدراسة القرآن من علماء الكلام واللّغويين والأدباء والمفسرين نذكر من أهمها:

---

1 -سورة الأعراف، آية: 52 .

2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة فصل، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط (1426ه-2005)، م6، ص 598.

3 - ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت، (1385هـ-1965م)، ص 474/ الفيروزبادي، القاموس المحيط،المطبعة الميرية، مصر، ط3(1302هـ)، ج4، ص29.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- الفاصلة عند الرماني (ت 386هـ): « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني »[1].

2- الفاصلة عند الباقلاني (ت403هـ): « الفواصل حروف متشابكة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني »[2].

3- الفاصلة عند الداني (ت 444هـ)[*] : « الفاصلة كلمة آخر الجملة »[3].

4- الفاصلة عند الزركشي (ت794هـ)، والسيوطي (ت911هـ) : « الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع »[4].

إن المتأمل لهذه التعريفات يجد أن كلا من الرماني والباقلاني قد ربطا الفاصلة بدورها في توضيح المعنى وإبرازه، فيتحقق بذلك التجانس التام بين مضمون الآية والتعقيب الذي تنتهي به، وهذا يذكرنا بقصة الأعرابي الذي سمع قارئا يقرأ : « فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البيّنات فاعلموا أن الله (غفور رحيم)، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال : إن هذا ليس بكلام الله، لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه »[5] .

وذهب عبد الكريم الخطيب إلى القول بأن المراد من قول الباقلاني « يقع بها إفهام المعاني »: «أنها تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية وفي هذا التعقيب يرى وجه جديد لتلك المعاني، فتزداد وضوحا وبيانا، وإذن يكون وظيفة الفاصلة تلخيص معنى الآية تلخيصا يبرز به المعنى المراد منها، أو بمعنى آخر هي إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في الآية، وهذا يحتاج إلى أن تكون

---

1 - الرماني، النكت في إعجازالقرآن،تحقيق:محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص97.

2- لم أهتدِ إلى هدا القول في كتابه إعجاز القرآن، وقد أورده السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، ص124.

* : هو الإمام عثمان بن سعيد أبو عمر الداني، أحد الأئمة في القرآن الكريم وروايته، وصاحب كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة، والمقنع في الرسم، والاكتفاء في الوقف والابتداء، توفي سنة 444 هـ، ينظر:جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1(1406هـ-1986م)،ج2، ص341.

3 - أبو عمرو الداني، التيسير في مذاهب القراء السبعة،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1(1416هـ-1996م)، ص32. نقلا عن: السيوطي، الإتقان، ج2، ص124.

4 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط2(1391هـ-1972م)، ج1، ص53. / والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، ص26 .

5 - السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق : محمد البجاوي، دار الفكر،ط 1969، ج1، ص40.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفواصل جملا مستقلة تؤدي معنى تاما مستقلا بدلالته »[1].

أما قول أبي عمرو الداني بأن الفاصلة « كلمة آخر الجملة » فقد استدرك عليه إبراهيم الجعبري(*) فقال : « وهو خلاف المصطلح ولا دليل عليه في تمثيل سيبويه بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾[2]، وقوله: ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾[3] وليس رأس آي لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية»[4].

ويفرّق الداني بين الفاصلة ورؤوس الآي بقوله : « أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وغير رأس . وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها . وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين»[5].

ونلمح هنا أنّ الداني يؤكد على مبحث "الوقف القرآني"، فقد يكون الوقف داخل آية، فهو عندئذ ليس بفاصلة، أما إذا انتهت الآية، فالفاصلة هنا رأس آية . إذن الفاصلة عنده على نوعين هما:

1- **فاصلة داخلية** : تقع في داخل الآيات، وهي خاضعة لأحكام الوقف والابتداء.
2- **فاصلة خارجية** : وهي ما يسمى عنده " رأس الآية "، وهي خاتمة الآية.

أمّا تعريف الزركشي والسيوطي فهو تعريف أوفى وأشمل من تعريف سابقيه لانتباهه إلى الجانب الإيقاعي للفاصلة، كما أنّ الزركشي يضيف إلى تعريفه السابق رأيا يوضح فيه موضع ومقام الفاصلة إذ يقول: « وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي

---

[1] – عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، ص206.

* : هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري، الملقب ببرهان الدين، صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز المعاني، وكتاب عقود الجمان وروضة الطرائق في رسم المصاحف وغيرها، توفي سنة 732هـ (شهاب الدين العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط(1392هـ-1972م)، ج1، ص55).

[2] – هود آية 105.

[3] – الكهف آية 64.

[4] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 124.

[5] – أبو عمرو الداني، التيسير في مذاهب القراء السبعة، ص37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينهما وبين ما بعدها و لم يسموها أسجاعا » [1] .

فقصدهما هنا هو الإشارة إلى كون الفاصلة حالة خاصة بالنص القرآني وأحد نطاقات إعجازه وتميزه وتفرده عما سواه .

ولعلّ هذه الصعوبة التي واجهت العلماء في تحديد تعريف الفاصلة مرجعها إلى تنوع أشكال الفاصلة وتعدد صورها[2]، فقد تكون كلمة، وقد تكون مقطعا من كلمة، وقد تكون جملة، وقد فطن سيد قطب إلى شيء من هذا حين قال : « إن الفواصل في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفا متحدا، ولكنها إيقاع متشابه » [3].

وعلى الرغم من تباين التعريفات السابقة فإن هناك من المتأخرين من حاول أن يضع تعريفا جامعا مانعا مع شيء من التوفيق والتدقيق، من أمثال محمد الحسناوي صاحب كتاب" الفاصلة في القرآن "الذي عرّفها بقوله : « الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر، والتفصيل توافق آخر الآي في حروف الروي أو في الوزن، ممّا يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس » [4].

ومهما يكن من أمر فإنّ الفاصلة القرآنية ظاهرة أسلوبية واضحة المعالم في الهيئة التي جاء عليها القرآن، والتي انفرد بها عن أن يكون نثرا أو يكون شعرا على نحو ما ألفه العرب من قبل نزول هذا الكتاب المعجز.

وقبل أن نغادر هذا المبحث يتبادر إلى أذهاننا سؤال مفاده : كيف يمكننا معرفة الفاصلة القرآنية ؟ .

ينقل السيوطي[5] لنا طريقين هما :

---

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص54.

[2] – ينظر : الزركشي، البرهان، ج1، ص54./ السيوطي، الإتقان، ج2،ص124. / الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي، مصر، ط1(1350هـ-1932م)، ص 165 / الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، الأردن، ط2(200م)، ص147.

[3] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط33(1425هـ-2004م)، ج4، ص547 .

[4] – الحسناوي الفاصلة في القرآن، ج2، ص 192.

[5] – السيوطي، الإتقان، ج2، ص124 .

الأول توقيفي : أي ما ثبت من كونه صلى الله عليه وسلم وقف عليه فتحقق أنه فاصلة بلا شك.

الثاني قياسي : أي إتباع أحكام الوقف في النص القرآني، ويكون الوقف بالسكون عادة على المرفوع والمجرور والمنصوب غير المنون، يقول السيوطي : « مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور والعكس »[1] .

وفي هذه الحالة تتساوى الحركات من كسر وفتح وضمّ، هذا بالنسبة للوقف على السكون أما بالنسبة إلى الفواصل المطلقة فيكون الوقف فيها بإطلاق الحركة ومدّها، ولا يكاد الوقف القرآني يتجه إلى غير الوقف بالسكون إلا في حالات قليلة منها:

1- الوقف على التنوين: مثل : ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾[2] .

2- الوقف على ضمير المؤنثة الغائبة : مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾[3].

3- الوقف على هاء السكت بعد ياء المتكلم : كما ورد في سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾[4].

4- الوقوف على الحرف الذي يسبق ياء المتكلم بعد حذفها نطقا وإملاء : سواء في الأسماء مثل قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[5].

أو في الأفعال مثل قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾[6].

---

1 - السيوطي، المصدر نفسه، ج2، ص134.
2 - العاديات، آية 1-2-3 .
3 - الزلزلة، آية 1-2.
4 - الحاقة آية 25-26.
5 - الكافرون آية6.
6 - البقرة آية 41 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- الوقوف على هاء السكت بعد إلحاقها بضمير المفردة الغائبة : وهـــذا في ســـورة القارعة قوله: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١ ﴾ [1].

6- الوقوف على الحرف الذي يسبق حرف العلة في الفعل الناقص : وهذا بعد حذف حرف العلة نطقا لا إملاء، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾ [2].

7- إضافة إلى ما ذكر من حالات الوقف يمكن أن تضاف ألف في نهاية الآية لتتـــساوى المقاطع ويتحقق جمال الفواصل، مثل قولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١ ﴾ [3].

وسنفصّل في هذه الحالات فيما هو لاحق .

[1] - القارعة آية 9-10-11 .

[2] - الفجر آية 3-4.

[3] - الأحزاب آية 10-11.

2 ـ موقف العلماء من الفاصلة القرآنية :

أخذت قضية الفواصل موضعها من عناية العلماء القدماء وإن لم تستقل بمباحث مفرد، بل جاءت عارضة في ثنايا المصنفات القرآنية المبكرة .

"فأبو عبيدة" من لغويي القرن الثاني للهجرة يقف من حين لآخر في كتابه مجاز القرآن عند الفاصلة، إذ لاحظ فيها عدولا عن مألوف الاستعمال اللغوي موجها همه إلى الاحتجاج لهذا العدول بأنّ :« العرب تفعل ذلك في كلامها »[1]، وهي العبارة التي تلقانا كثيرا في كتابه" مجاز القرآن ".

وكذلك عرض الفرّاء من لغويي القرن الثاني (ت207هـ) لمسألة الفواصل عرضا مباشرا في كتابه "معاني القرآن" ولكنه سمّاها "رؤوس الآي"، وعنده أن القرآن يراعي الفاصلة عمدا ليتحقق بها جمال النّظم، فيقدم أو يؤخر ويؤثر لفظا على آخر في معناه، أو يعدل عن صيغة الكلمة إلى صيغة أخرى رعاية للفواصل، مثل قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2] معناه الأدبار، وكأن القرآن نزل على ما يستحبّ العرب من موافقة المقاطع[3].

«وقد تحاشى الفرّاء القول بالسجع فيها، وإن ثبت على مذهبه أن النّظم القرآني يرعاها قصدا إلى الجرس الصوتي والمشاكلة اللفظية ... بينما أنكر ابن قتيبة – ق 3هـ – مذهب الفرّاء في هذه الرعاية اللفظية للمقاطع ورؤوس الآيات » [4].

وحتى القرن الثالث للهجرة كان التحرّج واضحا من القول بالسجع في القرآن[5]،وكأنّما كان الحس المؤمن ينبو عن هذه الكلمة، لكثرة ما أطلقت قديما على سجع الكهان، لكن القضية ما لبثت أن دخلت معترك الجدل الكلامي بين الفرق الإسلامية فارتبطت بالإعجاز بالنّظم، وبدأت تستقل بمباحث مفردة.

---

1 – أبو عبيدة، مجاز القرآن، تعليق :محمد فودة سوزوكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ص268.

2 – القمر آية 45.

3 – الفراء، معاني القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1(1424ه_2003م)،ج3، ص224.

4 – عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ص236.

5 – ينظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص97 / الباقلاني، إعجاز القرآن، ص83.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فبرز اتجاه آخر يثبت السجع في القرآن[1]، وإن كان السجع في القرآن أعلى ممّا يستطيع البشر أن يزاولوه .

وبذلك تباعدت السبل بين الطرفين واختلف بين القول بوجوده في النظم القرآني وعدّه من وجوه إعجازه، وبين نفيه من القرآن نفيا باتا، ولعل أكبر ما يؤخذ على الطرفين هو « تخبطهم في وادي الخلاف، والمصطلحات البلاغية التي يتقاذفونها غير مستقرة أولاً، أو غير متفق عليها ثانيًا، وأول شرط في الجدل الاتفاق في المصطلح"[2].

ومهما يكن فإنّ كلا الطرفين على اتفاق تام على تقديس القرآن وتتريهه، عن أن يكون مشابها لكلام البشر وإن كان من جنسه وحروفه « فالمشكلة إذن تكمن في رغبتهم في تتريه القرآن ».[3]

وبذلك نجد أن مصطلح الفواصل أو التناسب بين الفواصل أو موسيقى اللغة في الخطاب القرآني أو المحاذاة الصوتية أنسب وأعم وأشمل من مصطلح السجع، كما أنه في تتريه القرآن الكريم وأبعد عن الشبهة .

وكما لا يجوز تسمية ما في القرآن سجعا لا يجوز تسميتها قوافي إجماعا لأن الله « كما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية أيضا عنه، لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن، لا تطلق الفاصلة في الشعر لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه ».[4]

ومن يتأمل الفاصلة في القرآن يجد الفارق كبيرا بينها وبين قوافي الشعر، ذلك أن الوزن الشعري خاضع لأوزان وقيود بينما الفاصلة حرة من تقاليد الوزن وقافيته مما يوحي بالسلاسة

---

[1] – ينظر : أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق :محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت (1406هـ–1986م)، ص260 / الخفاجي، سر الفصاحة، ص164 / ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق :أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2(1983م)، ج1، ص308.

[2] – الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص124.

[3] – أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دارالمكتبي، دمشق، ط1(1415هـ–1994م)، ص312.

[4] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص58 .

والعفوية والانسياب .[1]

وخلاصة ما سلف أن مما تواضع عليه أهل هذا العلم وأئمة علوم القرآن يضاف إليهما علماء اللغة، هو أن نهاية بيت الشعر تسمى قافية، ونهاية جملة النثر تسمى سجعا، ونهاية الآية تسمى فاصلة .

وهذا التفريق الدقيق قائم على أساس يجب أن نتخذه أصلا، وبرنامجًا ينبغي القول به دون سواه، وهو أن الكلام العربي –مطلقا– على ثلاثة أنواع : قرآن، نثر، شعر، فليس القرآن نثرًا وإن جاءت فيه جميع فنون النثر، وليس شعرًا وإن استعمل جميع بحور الشعر العربي حتى ما تداركه الأخفش على الخليل فسمي متداركا، بل هو قرآن وكفى﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ .[2]

---

[1] – ينظر : تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2(1420هـ–2000م)، ج1، ص195 وما بعدها.

[2] – الواقعة، آية 77-78.

3 - حروف الفاصلة القرآنية :

لعلّك إذا أمعنت النظر في ألفاظ القرآن الكريم، لمست ترتيب حروفه بما لها من صفات وإيحاءات، وتناسق بين كلماته بما لها من شعاع يتألق من رصفها وترتيبها، وتساوق المعاني التي يسابق إلى النفس وقع ألفاظها في السمع كل ذلك من أسرار الإعجاز البياني في القرآن، فكل حرف منها « يمسك الكلمة التي هو فيها، ليمسك الآية والآيات الكثيرة ».[1]

وسبق أن ذكرنا أن الفاصلة القرآنية هي الحرف الأخير من الآيات القرآنية، فهل كل حروف العربية وردت فاصلة في القرآن الكريم ؟.

باستقصاء الحروف المستعملة في خواتم الآيات تبين أن هذه الحروف وردت على النحو الآتي :

عدد ورود الحرف فاصلة	الحرف	آيات وروده
الحروف التي لم ترد فاصلة	الخاء الغين	/ /
الحروف التي وردت مرة واحدة	الضاد الحاء	﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت 51]. ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر 1].
الحروف التي وردت مرتين	الثاء	﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى 11].

[1] -مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط8(1384هـ-1965م) ص240.

	الذال	﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة 4]. ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود/69] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود 108].
	الشين	﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ **[القارعة 5]. 12** ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش 1].
الحروف التي وردت ثلاث مرات	الفاء	﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ [الداريات 8]. ﴿ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ [قريش 2]. ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش 4] .
	واو الجماعة	﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ [النساء 3]. ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾ [طه 92].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم 62]
الحروف التي يقل عدد ورودها عن عشر مرات .	الجيم (09 مرات)	﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج 5]. ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص 58] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق 5] . ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق 6] . ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَٰلِكَ﴾ [ق 7] . ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق 11] . ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق 42] . ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج 3] . ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج 1].
	الكاف(08 مرات)	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات 7] . ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات 9]. ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		[الانفطار7] . ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح1] ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح2]. ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشروح3]. ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح4] .
الحروف التي بلغ تكرارها عشر آيات أو أكثر.	الصاد(10آيات)	الأعراف1 / هود109 / إبراهيم 21 /مريم1 / ص3 / ص37 / فصلت 48 / الشورى35 / ق36 / الصف4.
	الزاي(10آيات)	هود66 / هود91 / ابراهيم20 / الحج40 / الحج74 / فاطر17 / فصلت41 / الشورى19 / الحديد25 / المجادلة21.
	- السين (11 آية)	يس1 / التكوير15،16،17،18 / الناس1،2،3،4،5،6 .
	الهمزة المنفردة (11 آية)	آل عمران5،38،40 / إبراهيم24، 27،38،49،40،43 / الحج18 / الواقعة35.
	الطاء (12 آية)	آل عمران120 / الانفال47 / هود70،74،84،92 / الحج43، ص22 / فصلت49،54 / ق13 / البروج20 /

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	- الظاء (13 آية)	الانعــــام104 / هـــود86،58،57/ ابراهيم17 / الحـــج15 / لقمـــان24 / ســـبأ21 / فـــصلت50 / ق4، 32 / البروج22 / الطارق4.
	العين (13 آية)	الرعد26 / غـــافر18 / الـــذاريات6 / الطـــــور5، 7، 8 / المعــــارج2،1 / الطارق12،11 / الغاشية7،6.
	الياء (26 آية)	منها 21 في سورة طه وهي : 25،14، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 39، 41، 42، 85، 86، 87، 88، 90، 93، 94، 96 . والبقيـــة : الزمـــر14 / القيامـــة26 / الفجر24، 29، 30 .
الحـــروف الـــتي وردت بكثرة	- التاء الطويلة (34 مرة) - القاف (41 مرة) - الهاء (49 مرة) - اللام (67 مرة) - التـــاء المربوطـــة (122 مرة) - الياء (162 مرة) - الدال (198 مرة) - الألف المقـــصورة (241 مرة)	

	- الراء(450مرة) - الميم(665 مرة) - الألف (بضمنه واو الجماعة والألف المرسومة مع تنوين الفتح 949 مرة، أما بدون واو الجماعة فبلغ 946 مرة) - النون(3124مرة)	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملاحظات حول إحصاء حروف الفواصل :

1) نلاحظ أن حرف النون يمثل أكثر من نصف فواصل القرآن، حيث جاء فاصلة بنسبة واحد وخمسين بالمئة 51% تقريباً، وهذه النتيجة تصديق لكلام سيبويه وغيره ممن لاحظوا ذلك، قال سيبويه : « أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت » [1].

وإذا كان مجمل « استعمال حرف النون في القرآن الكريم كله هو سبعة وعشرون ألفا ومائتان وخمس وستون حرفا 27265، فإن نسبة استعماله فاصلة إلى نسبة استعماله الكلية تكون أحد عشرة فاصل سبع وستون بالمئة11,67 % وهي نسبة عالية إذا قورن بحروف أخرى، أضف إلى ذلك التنوين الذي يلحق فواصل بعض السور كالإسراء والكهف ومريم ... هذا التنوين هو نون ساكنة أيضاً وإن كان يتحول بالوقف إلى الألف الممدودة، ولذا فإن النون والتنوين يفوزان بأكبر نصيب في الفواصل لما فيهما من الغنة الجميلة في السمع » [2].

2) جاء حرف الميم تالياً للنون بنسبة اثني عشرة فاصل ثمان و ثلاثين بالمئة (12,38%) والملاحظ أنه حرف شفوي، يليه الراء بنسبة أحد عشرة فاصل صفر أربعة بالمئة (11,04%)،

[1] - سيبويه، الكتاب، تحقيق :عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2(1402هـ—1982م)، ج2، ص204.

[2] - السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2(1430هـ—2009م)، ص79.

والدال بنسبة أربعة فاصل اثنين وستين بالمئة(4,62%) .

وهما حرفان ينطقان بالاعتماد على اللسان مع ما يحاذيه من أصول الثنايا العليا، وكل هذه الحروف تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق، والملاحظ أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالاً من الحروف الشفوية والأسنانية، وذلك مرجعه إلى سهولة النطق بها ووضوحها السمعي، والمراد بالوضوح السمعي وصول صوت الحرف واضحاً إلى السمع، حيث إن لكل مجموعة حروف متقاربة المخارج نسبة وضوح سمعي، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : «وليست كل الأصوات الإنسانية على السواء في نسبة الوضوح السمعي، فبعضها أوضح من بعض ويمكن أن تقسم إلى الأقسام التالية متدرجة من الانخفاض إلى الارتفاع :

1- المهموسة الانفجارية مثل : ت / ك / ب .

2- المهموسة الاحتكاكية مثل : ش / س / ك / ف .

3- المهموسة المزدوجة مثل : تش.

4- المجهورة الانفجارية مثل : ب / د / الجيم الجهرية .

5- المجهورة الاحتكاكية مثل : ق / ذ / ز / الجيم الشامية .

6- المجهورة المزدوجة مثل: الجيم الفصيحة .

7-الأصوات الأنفية مثل : م / ن.

8- الأصوات التكرارية والجانبية مثل: ر / ل» [1].

ومنه نرى أن الأصوات الأنفية والتكرارية أكثر استعمالا في الفواصل، وذلك لتحقيق الوضوح السمعي خصوصا عند الوقف الذي ربما يضيع معه الحرف الأخير كما يحدث في الكلام العامي كثيرا .

3) ثمة حروف نادرة الاستعمال في الفواصل كالحاء والضاد وحروف أخرى لم تقع فاصلة كالغين والخاء، ومن الواضح أن هذه الحروف لا تتمتع بالوضوح السمعي الذي تتمتع به النون والميم والراء والدال، وكل ذلك يدل على عظيم عناية القرآن بالحروف المختارة للفواصل على

[1] ــ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث العلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2(1985م)، ص100.

أساس أنها آخر ما يقرع الأسماع .

يقول بكري شيخ أمين : « ولو أمعنا النظر في فواصل القرآن، ودرسنا الحروف التي يكثر ورودها فيها، ولا سيما في خاتمتها لوجدنا حرف النون، والميم، والألف، والواو، والياء، هذه الحروف جميعها تحمل لحناً إيقاعياً لا يتوافر في الحروف الأخرى، ثلاثة منها تستعمل للمدود وتقابل تسمية "الإطلاق" في البيت الشعري، وحرفان سهلا المخرج فيهما غنة محببة تساعد على إخراج صوت محبب من الأنف وتلك هي شحنة النغم ».[1]

4- قيمة حروف المدّ واللّين[2] في الفاصلة القرآنية :

إن هذين الحرفين- مضاف إليهما النون – هما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى والإيقاع في الكلام، وبصفة خاصة في القرآن، « وقد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ واللّين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكين من ا لتطريب بذلك »[3] .

وبناء على هذا فإنّ الدقة التي صيغت بها هذه الحروف هو تمكين التطريب، الذي يدل على شدة تأثير الإيقاع القرآني في السامع، إذ إنّ هذا التطريب في حروف المدّ واللين وإلحاق النون ناتج عن تأثيرها الصوتي الذي ينبعث عن الإحساس بالجمال والنغم القرآني عن وعي، وتذوق ذلك بالحاسة الفنية وإدراك تأثيره المباشر على القلب .

يقول الرافعي : « وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمدّ، وهو كذلك طبيعي في القرآن وهذه هي طريقه الاستهواء الصوتي في اللغة، و أثرها طبيعي في كل نفس تفهمه، و كل نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النصوص على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، و لو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذي يطمع فيه أو

---

[1] ــ بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط1(1994)، ص 209.

[2] ــ حروف المدّ واللّين ثلاثة :الألف والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، سمّيت بذلك لامتداد الصّوت بها ولضعفها من أجل اتساع مخارجها./ أبو عبد الله الفارسي، شرح الفارسي على الشاطبية، المسمّى اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، تحقيق :عبد الرزاق موسى، مكتبة الرشد، الرياض، ط1(1426هـ-2005م)،ج1،ص224.

[3] ــ الزركشي، البرهان، ج1، ص 68.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في أكثره، و لما وجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى »[1].

وثبت بالإحصاء أن عدد الفواصل المردوفة بالمد في القرآن كله هو خمسة آلاف ومئة وخمس وستون (5165)، منها بالياء ألفين وست مئة واثنين وسبعين (2672)، ومنها بالواو ألفين وثمان وأربعين (2048)، ومنها بالألف أربع مئة وخمس وأربعين (445)، كما ثبت أن الفاصلة الأثيرة هي النون الساكنة المردوفة بواو أو بياء، فالمردوفة منها بواو ألف وسبع مئة وثمان وخمسين (1758)، والمردوفة بياء ألف ومئتين واثنين وتسعين (1292).[2]

وهكذا يتضح كيف تؤدي حروف المد واللين وظائفها الإيقاعية والمعنوية في فواصل القرآن، فتسهم في بلاغة الآيات وحلاوة الإيقاع، فلا شك أن « حرف المدّ فوق أنه يتطلب زمناً أطول للنطق به من الحرف الساكن، يعد من حيث الأثر السمعي لدى المحدثين من علماء الأصوات أكثر وضوحا في السمع حين يقارن بالحرف الصحيح الساكن »[3].

وانطلاقا من قيمة هذه الحروف تبرز لنا قيمة الفاصلة في بلاغة النظم القرآني وحلاوته، فما كان القرآن ليوليها هذه العناية فيأتي بها في موضعها مستقرة في نسقها، لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته وتحقيق أهدافه، فالفواصل القرآنية مرتبطة دلاليا مع الآيات ومع التراكيب ككل، فهي وحدة عضوية من حيث التراكيب والاتساق، ومن حيث الأسلوب .

ويضاف إلى هذا أنه « إذا كانت هذه القاعدة مرتبطة في مدلولها العام بالعلاقة بين الخاصية الصوتية والحاسة السمعية فإنها تأخذ بعدين آخرين : أولهما متعلق بتحسس الجمال واستكناه أسراره، وهذا جانب غريزي، وثانيهما متعلق بإصابة المعنى في العملية الإبلاغية، وهذا جانب وظيفي، وكلاهما يعمل على تحقيق ما يعرف بالجانب الانفعالي في اللغة من خلال النص الأدبي، وكما لا يمكن للشاعر أن يحقق الجانب الجمالي بمعزل عن الجانب المعنوي للنص الشعري، فكذلك النص القرآني، بل إن هذا القارئ أحرى به وأولى أن يركز على المعنى، لأن النص القرآني نص رسالي قبل أي شيء آخر»[4].

---

1 – الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص246، 247.

2 – أحمد أبو زيد، التناسب البياني، كلية الآداب، الرباط، (1992م)، ص354.

3 – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3(1965م)، ص329.

4 – صلاح يوسف عبد القادر، الصوت والدلالة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003م، ع :03، ص47-48.

5 - مراعاة النّظم القرآني للمناسبة الصوتية :

إن الإعجاز يتجلى في الفاصلة القرآنية بمظاهرها المتعددة،وما يتعلق به من خصائص صوتية وموسيقية يطبعها التجانس في الأصوات والملاءمة السّياقية والدلالية، ولذلك يقتضي المقام في الأسلوب القرآني تنوع الإيقاع بتنوع الأجواء التي تطلق فيها الفاصلة، فيلتمس المستمع ذلك بيقين أن هناك نظاما خاصا منسجما مع الجو العام للسورة.

ويقصد بالمناسبة الصوتية « أن يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجزٌ غير حصينٍ، على صورةٍ لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السمع، وتخضع بعض صور المناسبة الصوتية للتقعيد، ويظل بعضها الآخر للاختيار الأسلوبي الفردي الفنّي »[1].

والفاصلة القرآنية أشهر مظهر للمناسبة الصوتية في القرآن، لأنها إتيان بخواتم الآيات طبقا لاختيار أسلوبي مقصود بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين رؤوس الآيات، بمعنى أن المناسبة الصوتية هي المبدأ الذي تقوم عليه الفاصلة القرآنية .

والحقيقة -التي أشرنا إليها آنفا - أن الفواصل القرآنية لها دور كبير في التناسق الصوتي والدلالة على المعنى، كما أن لها دورًا في تناسب الإيقاع دون طغيان الأول على الثاني، أو تقديم الثاني على الأول، لهذا يؤثر في هذا المقام حسن اختيار الفواصل القرآنية ذات الجرس المعين على أداء الوظيفة الجمالية للإيقاع، وفي نفس الوقت يؤدي دورا جليلا في تصوير المعنى وتشخيصه وإيضاحه على أتم صورة من التناسق اللفظي .

ولذلك تصادفنا ونحن نبحث في مصادر الدراسات القرآنية، وفي كتب التفسير إشارات كثيرة إلى تأثر تركيب الآية أو الجزء الأخير منها بمراعاة تناسب الفواصل، كما يصادفنا التأكيد فيها على أن التناسب في ذلك أمر مقصود في النظم القرآني، وأن مراعاة ذلك يقضي بالعدول عن التركيب العادي إلى تراكيب أخرى تجمع بين الوفاء بحق المعنى، وحق التناسب الإيقاعي، وفي ذلك تظهر قيمة المرونة التي يمتاز بها نظام تركيب الجملة في اللغة العربية .

وقد فطن "ابن الصائغ" صاحب كتاب "إحكام الرأي في أحكام الآي"[2]، إلى هذه

---

[1] - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج1، ص215.

[2] - كتاب مفقود لم يصلنا منه إلا ما نقله السيوطي في كتابه الإتقان،ج2، ص127.

الحقيقة فأورد جملة من الأحكام الصرفية واللغوية لما وقع في القرآن من مخالفة الأصول، مراعاة لتناسب الفواصل، ونقل السيوطي في الإتقان ما جمعه ابن الصائغ في كتابه فقال :" قال ابن الصائغ :« اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، ترتكب لها أمور من مخالفة الأصول، فقال : وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما »[1]

ثم أخذ يعدد هذه الأمور التي بلغت الأربعين موضعا، وكلها تمثل تلك المناسبة الصوتية التي يحرص عليها الأسلوب القرآني لإيقاع التناسق أو النغم الموسيقي بين الفواصل.

ولعل هذا النسق الموسيقي الذي يعدل التعبير القرآني من أجله عن الأصل في بعض الأحيان أمر ضروري، لماله من وقع شديد في النفس بحيث إذا اختل نفر منه السمع والذوق السليم .

قال الزركشي : « واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا، ومعتبر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع »[2].

ويؤكّد الإمام الغزالي أن العلاقة بين النّغم والروح سرّ من أسرار الإله يعجز عن تعليله البشر، وأنّ لله تعالى سرّ في مناسبة النّغمات الموزونة للأرواح يقول : « إنّه لا سبيل إلى استثارة خفايا القلوب إلا بقوادح السماع، ولا منفذ إليها إلا من دهليز الأسماع، فالنّغمات الموزونة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها، فلا يظهر القلب عند التحريك إلا ما يحويه ».[3]

فيتقدم ما حقه التأخير ويتأخر ما يجب أن يقدم، ويحذف ما ينبغي أن يذكر والعكس أو يزاد حرف إلى آخر ذلك من الأمور التي يخرج فيها نظم الآية عن المألوف من لغة العرب بسبب الفاصلة.

وهنا ننبّه إلى أنّ المقصود بالمألوف من لغة العرب هو الغالب في الاستعمال وليس غيره، وبناء عليه وضع النّحاة قواعدهم، وللأسف هذا ما يؤخذ على النحاة عندما اتخذوا من كلام العرب أصلا يقاس عليه ما سواه بما في ذلك لغة القرآن الكريم وكان العكس هو الأولى، إذ

[1] - السيوطي، الإتقان، ج2، ص127.

[2] -الزركشي، البرهان، ج1، ص60.

[3] -أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تقديم :طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، (2003م)، ج6، ص147.

المعروف أن اللغة العربية أوسع من النحو العربي، لأن النحو قواعد أنيط بها تنظيم ما اطرد من اللغة، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين لا بنحو عربي متين، وهكذا امتدت تراكيبه على رحابة اللغة و لم تنحبس في بوتقة القواعد النحوية .

فالقرآن الكريم يهيمن على اللغة كلها ما اطرد منها وما لم يطرد، لذلك نراه في كثير من الأحيان يخرج عن بعض القواعد النحوية التي وضعها النحويون، فكاد بذلك كتاب الله أن يكون "نحوا جديدا" للغة العربية .

فالقرآن الكريم هو المصدر الأساسي للقواعد النحوية، والنحاة يجدون أنفسهم مضطرين إلى ذلك سواء أرادوا أم لم يريدوا، و إذا جوَّزنا إثبات اللغة بشعر مجهولٍ، فجواز إثباها بالقرآن العظيم أولى،يقول الألوسي: «وكثيراً ما ترى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهد في تقريره ببيت مجهولٍ فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، لأنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أولى »[1].

وقد حاول النحاة بكيفيات متعددة الخروج بقواعدهم عن قراءات القرآن والبحث عن شواهد شعرية قد تكون موجودة أو مصطنعة من قبلهم، وهذا ما أحدث الخلل وترك ثغرات توجه إليهم الانتقادات، لأنهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب فيجمعون شذرات شعرية ونثرية من هذه القبيلة وتلك، من أعرابي في الشمال إلى امرأة في الجنوب، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة، يجمعون هذا الكلام إلى كلام معروف ومشهور ويصنفون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء الناقص الذي لا يستند إلى خطة محكمة في الجمع، ثم يحاولون ترميم مواطن الخلل بمقاييس منطقية يريدون اطرادها في الكلام .

وهذا ما ترك ابن جنّي يوجّه نقده إلى النّحاة بقوله : «لكن غرضنا أن نوري وجه قوة ما يسمى شاذا، وأنّه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يرى أن العدول عنه إنما هو غصن منه أو تهمة له، ... وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عنده، عليه

[1] - محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ط1(1423هـ-2003م) ج8، ص40.

أقوى منه إعرابا، وأنهض قياسا، إذ هما جميعا مرويان مسندان إلى السلف ﷺ»[1].

ومن ثمة كانت أعمال النّحاة الذين استشهدوا بالقراءات القرآنية في توجيه القاعدة النحوية موفقة وإيجابية، في حين أنّ أعمال الذين ساروا على طريقة البحث عن شـواهد غـير قرآنيـة لقواعدهم دخلت في حكم الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه .

وانطلاقا ممّا أحدثته القراءات القرآنية من أثر في توجيه القاعدة النحوية، فقد كان أيـضا للجانب الصوتي في الفاصلة القرآنية الدور البارز في توجيه الكثير من القضايا النحوية على أساس أن الجانب الصوتي للّغة أوسع من قواعد النّحويين، فاللّغة جانب صوتي قبل أن تكون جانـب لفظي مادي .

وسنسوق في فصولنا اللاحقة ما يوضح ذلك، على أن نبدأ بعرض ما تصرّف فيه القرآن في تركيب الآية وأحوالها، ثم ننتقل إلى ما يتعلق بتصرّفه في الألفاظ المفردة وأبنيتها.

[1] ـــأبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1419هـ-1998م)، ج1، ص103.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأوّل:

أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرتي التقديم والتأخير والحذف

المبحث الأول: أثر الفاصلة القرآنية في التقديم والتأخير

المبحث الثاني: أثر الفاصلة القرآنية في الحذف

المبحث الأول: أثر الفاصلة القرآنية في التّقديم والتأخــير

تخضع الجملة في العربية لنظام دقيق في ترتيب مفرداتها، ومن المبادئ الأولية في هذا النظام أن لكل عنصر رتبته الخاصة يحتفظ بها في جميع الأحوال ولو تغير نظام تركيب الجملة، فالجملة الفعلية تبنى على هذا المنوال :

فعل + فاعل + مفعول به .

والجملة الاسمية تبنى على النظام الآتي :

مبتدأ + خبر .

وقد فطن لهذه السّمات التي تختص بها العربية الدكتور إبراهيم أنيس فقال : « تخضع كل لغة لنظام معين في تركيب كلماتها، ويلتزم هذا التركيب في تكوين الجمل والعبارات، فإذا اختل هــذا النظام في ناحية من نواحيه لم يحقق الكلام الغرض منه وهو الإفهام، ولا تمثل مفردات اللّغة إلا ناحية جامدة هامدة من تلك اللّغة، فإذا نظمت ورتبت ذلك الترتيب المعين سرت فيها الحياة، وعبرت عن مكنون الفكر، وما يدور في الأذهان ».[1]

غير أنّ هذا النظام المثالي للّغة العربية في ترتيبها ليس جامدا لا يمكن تغييره، بل هناك تغــيرات تطرأ على طريقة الترتيب، بحيث يقدم منها ما كانت رتبته التأخير، ويتأخر ما كانت رتبته التقديم.

والتقديم والتأخير من المباحث المهمّة التي أولاها النحاة والبلاغيون عناية كبيرة، لأن له ارتباطا وثيقا بالمستويات العليا للغة وأدائها، وقد تحدث عنه الجرجاني فقال : « هو باب كثير الفوائد جــمّ المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان »[2].

والتقديم والتأخير عند العرب مرتبطان بفنّ القول، أي الكلام ذي الطبيعة الفنّية كالشعر والنثر الفنّي في ألوانه المتعددة، والضابط للتقديم والتأخير عندهم هو الإعراب الذي يحفظ لكل لفظ موقعه

---

[1]– إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7(1994م)، ص295.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق :محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1(1989م)، ص106.

في بناء الجملة سواء أورد مقدما أم مؤخرا .

وفي جملة "ضرب عبد الله زيدا" يقول سيبويه : « فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك : ضرب زيدا عبد الله، لأنك إنما أردت به مقدما ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه لهم أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم».[1]

واعتماد اللغة العربية على العلامة الإعرابية قرينة للمعنى في التركيب جعلها أكثر طواعية لتغيير الترتيب الأصلي لوحداتها، بما يشكل انزياحا[2]ذا قيمة فنّية وجمالية، ولئن كان التركيب «يخضع بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة ... فإن العدول عن هذا النمط بمثابة منبّهات فنّية يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنّية متميزة».[3]

ولا يكون التقديم والتأخير دون نظام يحكمه بل يخضع لضوابط وقيود فقد يكون تقديم اللفظ أو تأخيره إجباريا لعلة نحوية ولا يجوز العدول عنه، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾[4].

قدم المفعول تقديما واجبا لاتصال ضمير بالفاعل يعود عليه .

وقد يكون اختياريا فيخضع – ولاسيما في الكلام البليغ – لدواع دلالية أو بلاغية، ولعل هذا ما يشير إليه صاحب الصناعتين بقوله : « ينبغي أن نرتب الألفاظ ترتيبا صحيحا، فنقدم منها ما كان يحسن تقديمه، ونؤخر منها ما يحسن تأخيره ولا نقدم منها ما يكون التأخير به أحسن، ولا نؤخر منها ما يكون التقديم به أليق»[5].

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص34.

[2]– الانزياح :ويعني التجاوز أو العدول، وهو تصرّف مستعمل اللّغة في هياكل دلالاتها أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف، فينقل الكلام من السّمة الإخبارية إلى السّمة الإنشائية، أو هو الخروج عن النمط التعبيري المتواضع عليه،وهو خرق للقواعد حينا، ولجوء إلى ما نذر من الصيغ حينا آخر ./ينظر :عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط5(2006م)، ص82وص124.

[3]– محمد عبد المطلب، البلاغة الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، (1984م)، ص271.

[4]– البقرة آية 124 .

[5]– العسكري، الصناعتين، ص169.

وقد يخضع هذا التقديم الاختياري لمراعاة النظم وحسن النسق، وربّما هذا ما قصده صاحب الصناعتين إضافة إلى ما سبق، ويوضحه ابن الأثير في نحو قوله تعالى:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] » [2].

ويرجع سيبويه سبب التقديم والتأخير في الكلام إلى الاهتمام بهذا المقدم وعبارته في ذلك: «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم»[3].

وهو لا شك يقصد هنا ما يكون تقديمه اختياريا لا إجباريا .

أمّا الزمخشري فيرجع هذا السبب إلى الاختصاص، وهو ما يذكره في الكثير من المواضع، نحو تقديم المفعول على الفاعل في قوله تعالى :﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [4]وتقديم المجرور على الخبر في قوله :﴿ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [5] [6].

وهناك أسباب أخرى غير ما ذكرناه، لعل من أهمها ما ذكره الرازي في كتابه.[7]

وقد درس العلماء هذا النظام وأوضحوا ما يمتاز به من المرونة، وعرفوا ببعض الوظائف المعنوية والجمالية التي يؤديها اختلاف أحوال تركيب الجملة.

فبدأ البحث في أحوال تركيب الجملة القرآنية على يد نخبة من علماء القرن الثالث للهجرة، الذين عنوا بالتأليف في معاني القرآن وأساليبه، كأبي عبيدة (ت 203هـ)، وأبي عمرو الجاحظ (ت255هـ)، وأبي زكريا الفرّاء (ت 207هـ)، وابن قتيبة (ت276هـ)، كما تحدّث عنه سيبويه في كتابه وأشار إلى سرّه في الكلام، وذكر أنه يأتي للعناية والاهتمام، أو للتأكيد والتنبيه وأنه

---

[1]- يس آية 37.

[2]- ينظر : ابن الأثير، ا لمثل السائر، ج2، ص221.

[3]- سيبويه، الكتاب، ج1، ص34.

[4]- الفاتحة آية 4.

[5]- البقرة آية 143

[6]- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، (1987م)، ج1، ص60 وص318.

[7]- الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق :بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1(1985م)، ص222.

يكون أحيانا لغير علة بلاغية.[1]

ويتأكد هذا الرأي لدى أشهر اللّغويين في القرن الرابع الهجري، وهو ابن جنّي، الذي لم تمنعه عنايته الخاصة ببحث مستويات اللّغة الصوتية والصرفية والنحوية، من أن تكون له نظرات صائبة في كثير من مسائل البلاغة والأسلوب، فقد أشار إلى ظاهرة التقديم والتأخير في كتابه الخصائص، وإن كان تناوله قد غلب عليه الجانب النحوي، من حيث جواز التقديم وعدمه،[2] ولكنه في كتابه المحتسب يأتي بتحليل عميق لما يمكن تسميته بمراتب العدول في تقديم المفعول به وتأخيره[3].

وظاهرة التقديم والتأخير ليست عملية لفظية للتلاعب بالكلام، بل هي عملية لفظية دلالية في آن واحد، لذلك جاء عبد القاهر الجرجاني وعمّق الرؤية الفنّية لها، فنفى طابع العشوائية واللامعنى عنها، وأكّد قيمتها الأسلوبية وبعدها الفني بقوله: « واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه، ولذلك سجعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى »[4].

ويبدو عبد القاهر مستندا إلى أمرين يدعمان رأيه وينهضان حجة له:

الأمر الأول: هو انطلاقه من النص القرآني الذي لا يمكن أن يُحال في تعليل أي جزئية من جزيئاته إلى التلقائية أو العشوائية، وعلى ذلك فكل ظاهرة تعبيرية فيه هي ظاهرة ذات مغزى وسر ينبغي البحث عنه.

الأمر الثاني: هو حسه المرهف في التعامل مع قواعد التركيب العربي، وما يعتريه من تغيرات ذات أثر في المعنى.

وحاول بعض البلاغيين أن يولوا هذا المبحث عناية أكبر لاسيّما ما يتعلق بالجوانب العروضية والمناسبات اللّفظية، حيث ذهب ابن الأثير إلى أن التقديم والتأخير يستعمل لغرضين هما:

الأول: الاختصاص.

---

[1]- سيبويه، الكتاب، ج1، ص34.

[2]- ابن جني، الخصائص، تحقيق:محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط2، ج2، ص382.

[3]- ابن جني، المحتسب، ج1، ص65.

[4]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص110.

والآخر: مراعاة نظم الكلام.

فقال: « والذي عندي فيه أنه استعمل على وجهين : أحدهما الاختصاص والآخر مراعاة نظم الكلام، وذاك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم، وإذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن، وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص»[1]

ثم جاء بمثال عن التقديم للاختصاص هو قولـــه تعـــالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[2] وبمثال عن التقديم مراعاة لنظم الكلام هو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [3]

ثم قال: « وذاك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، ولو قال نعبـــدك ونستعينك، لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ».[4]

ويبدو جليا من رأي ابن الأثير وتحليله لنمادج من التقديم والتأخير في القرآن، أنه يذهب إلى أن مراعاة نظم الكلام هي أهم أغراض هذه الظاهرة، كما يبدو من تحليلاته للأمثلة القرآنية التي ساقاها أنه يفصل بين الوظيفة الجمالية والوظيفة المعنوية للتقديم والتأخير في النظم القرآني، وقد بـــدا ذلـــك واضحا في قوله: إن تقديم المفعول في قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[5] لم يكن للاختصاص وإنما هو لمراعاة نظم الكلام.[6]

ثم يرد ابن الأثير مذهب الزمخشري في الاختصاص، يقول: « وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك، فإنه لم يقدم المفعول به علـــى الفعـــل للاختصاص وإنما قدم لمكان نظم الكلام... وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من بـــاب الاختصاص فبطل إذا ما ذهب إليه الزمخشري وغيره ... وهذا لا يذهب إليه إلا من هو بنجوة عـــن

---

[1] – ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص218.

[2] – الزمر آية 64.

[3] – الفاتحة آية 5.

[4] – ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 219.

[5] – الفاتحة آية 5.

[6] – ابن الأثير، المصدر نفسه، ص219.

رموز الفصاحة والبلاغة ».[1]

ويبدو لنا أنّ الجانبين متكاملان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وهذا الرأي أورده العلوي عندما تناول مسألة تقديم المفعول به، فقال: « والمختار عندنا أنه لا منافاة بين الأمرين، فيجوز أن يكون التقديم مراعاة لجانب اللّفظ و المعنى جميعا، فالاختصاص أمر معنوي والتشاكل أمر لفظي».[2]

وهذا الاستنتاج الوجيه يدل على نظرة متكاملة لجوانب الموضوع، ويماشي روح النّص القرآني وروح الإبداع في النّصوص الأدبية، ثمّ هو رأي تؤيده الدراسات النقدية والأسلوبية الحديثة التي تذهب إلى أن « عملية إنتاج النصوص الأدبية لا يمكن تجزئتها، ولا يمكن تصور نص يبدع في شق منه دون الشق الآخر، وفرق كبير بين تصور عملية التقديم ضرورة يلجأ إليها لإقامة جانب شكلي في النّص، وبين عدّها تقنية إبداعية ترجع إلى فنية الأديب المتشابكة مع حسّه الشعوري واللاشعوري، والتي تدخل في التركيب اللّغوي للعبارة ».[3]

وعليه فالرأي الصائب هو القول بتعالق الغرض المعنوي والغرض اللّفظي، فلا تضارب بينهما ولا تنافر، وهو عين ما ذهب إليه الدكتور أحمد أبو زيد وأكّده في قوله: « والذي نراه صائبا هو أنّ التقديم والتأخير في النظم القرآني يجمع بين الوظيفتين الجمالية والمعنوية على السواء، وإلا فما المانع أن نقول إن التقديم في " إياك نعبد وإياك نستعين "، وقع لإفادة الاختصاص ولمراعاة نظم الكلام معًا».[4]

وهو ما أرتضيه وأطمئن إليه، فالغرضان متماثلان في التعبير القرآني، متلازمان لا ينفصمان، لأن القرآن الكريم معجز بألفاظه ومعانيه، وبأسلوبه ومبانيه.

وسنذكر فيما يأتي بعض الأمثلة لنبيّن فيها كيف يلتقي الغرضان المعنوي والجمالي في الآيات القرآنية، على أن نصنّف مواضع التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية أقساما ثلاثة هي :

---

[1] – ابن الأثير، المصدر نفسه، ج2، ص219-220.

[2] – العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، (1336هـ-1914م)، ج2، ص38.

[3] – رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، (1988م)، ص79 .

[4] – حامد أبو زيد، التناسب ا لبياني، ص195.

القسم الأول: ما يختص بالجملة الاسمية.

القسم الثاني: ما يختص بالجملة الفعلية.

القسم الثالث: ما يختص بالمكملات.

القسم الأول: ما يختص بالجملة الاسمية:

يدور الحديث في هذا القسم على سياقات التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية الملابسة للجملة الاسمية والتي تتمثل في:

1)- تقديم الخبر على المبتدأ:

الأصل في ترتيب الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، ولكن يجوز تقديم الخبر لأغراض بلاغية واعتبارات جمالية، وقد ذكر النّحاة المواضع التي يتقدم فيها الخبر على المبتدأ وجوبا، [1] وتركوا مواضع التقديم الجائز للفهم السليم والذوق الرفيع والمعنى البليغ، والخبر المقدم قد يكون مفردًا وقد يكون جملة وقد يكون شبه جملة.

ففي قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [2].

قدّم الخبر" كذلك" وفيه معنى الإشارة إلى مظاهر قدرة الله، فـ"النشور" مبتدأ مؤخر والمجرور قبله في موضع الخبر.

وفي هذا المقام التقى غرضان، الأول معنوي بلاغي وهو الاهتمام بالمقدّم، والثاني جمالي وهو التناسب الذي وقع في رعاية الفاصلة، فتأخير المبتدأ جعل فاصلة هذه الآية متّفقة مع فواصل سورة فاطر عامة، والتي تنتهي بحرف صحيح قبله حرف علّة ومدّ .

وأيضا من تقديم الخبر على المبتدأ في الفاصلة القرآنية قوله تعالى:﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٞ ﴾[3]

---

[1] – ينظر : ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، ج1، ص189-190.

[2] – فاطر آية 9.

[3] – ق آية 4.

فالجملة مكونة من:

خبر شبه جملة مقدّم + مبتدأ نكرة موصوفة مؤخر.

ففي هذا الموضع جاء المبتدأ مؤخرًا في حين كان حقه التّقديم على أساس أنه نكرة موصـــوفة، والوصف أحد المسوغات المبيحة للابتداء بالنكرة، فكان حقّ الخبر أن يكون فاصلة كمـــا يقتـــضي التركيب النحوي ذلك، لكن ذلك لم يحدث .

وبناء على ذلك جاءت الفاصلة هي كلمة "حفيظ" المبنية على حرف الظاء، وقد جاءت أغلب فواصل سورة "ق" مبنية على حرف الدال، فالآية التي سبقتها قوله تعالى :﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [1]

وبين الحرفين تقارب في المخرج .

ومن هنا جاء أمر المشاكلة الصوتية وارد، على خلاف لو جاءت الجملة على الترتيب الأصلي لها "كتاب حفيظ عندنا" فإن هذه المشاكلة تغيب لبعد مخرج الدال عن مخرج النون.

ولنأخذ مثالا آخر قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2] .فجملة "إليك المصير" مبنية على الهيكل التركيبي:

خبر شبه جملة مقدم + مبتدأ معرفة مؤخر.

وتقديم الخبر هنا على خلاف القياس النحوي، الذي يحكم للمبتدأ المعرفة بالتقدم، وعليه كان لا بدّ في غير القرآن أن يكون شكل الجملة "والمصير إليك"، لكنّنا هنا نكون إزاء نفـــور جمـــالي في الأداء الصّوتي المؤدي إلى الجمال الإيقاعي، ولو كان بناء الفاصلة على الخبر أي على حرف الكاف " إليك" لما أحسسنا بالجمال الأدائي لهذه الآية، فالتقديم المخالف للقياس النحوي هنا أفاد أمرين هما:

1)- المشاكلة الصوتية لتقارب حرف "الراء" من مخرج حرف "الباء" الذي بنيت عليه فواصل السورة.

2)- الاختصاص الذي يقتضي اختصاص المولى عزّ وجل وحده بأنّ المآل إليه، ونهاية المطاف لديه، ويستفاد ذلك من سياق الدعاء قبل الفاصلة "ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المـــصير"،

[1] - ق آية 3.

[2] - الممتحنة آية 43 .

فالدعاء في الآية مبني على تقديم شبه الجملة على المتعلق به، فإذا ما وصلنا إلى الفاصلة قدّم شبه الجملة على المبتدأ المعرفة اطّرادًا مع ما سبق.

2)- تقديم خبر كان على اسمها:

لا يتقدم خبر كان على اسمها في القرآن إلا نادرًا، وغالبا ما يكون ذلك حين يكون الخبر شبه جملة كما في قوله:﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ [1]، أو يكون الاسم مصدرا مؤولا محصورا "بإلا" مثل قوله :﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ .[2]

أمّا أن يكون الاسم والخبر معا اسمين ظاهرين فالمعتاد سبق الاسم الخبر، ولكن جاء ذلك قليلا كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [3]، ذلك أن الفواصل في هذه السورة دالية أي مختومة بحرف الدال الساكن المقلقل للوضوح السمعي حسب قواعد التجويد.

والتركيب النّحوي للآية جاء كما يأتي:

فعل مضارع مجزوم (ناسخ ناقص) + جار ومجرور متقدم على متعلقة + خبر يكن مقدم + اسم يكن مؤخر.

والتقديم والتأخير هنا ليس على القياس النحوي، فالأصل في غير القرآن " و لم يكن أحد كفوا له " وقيل (له) الخبر وهو قياس سيبويه.[4]

وقد ردّ أبو حيان على هذا الرأي بقوله: « ليس الجار والمجرور منه تاما، إنما هو ناقص لا يصلح أن يكون خبرا لكان، بل هو متعلق بـ (كفوا) وقدم عليه، والتقدير"و لم يكن أحد كفوا له" أي مكافئه، فهو في معنى المفعول متعلق بكفؤا، وتقدم على (كفوا) للاهتمام به، إذ فيه ضمير الباري تعالى، وتوسط الخبر وإن كان الأصل التأخر، لأن تأخر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك ».[5]

---

[1] - الإسراء آية 93.

[2] - الجاثية آية 25.

[3] - الإخلاص آية 4.

[4] - سيبويه، الكتاب، ج1، ص56.

[5] - أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، (2005م)، ج 10، ص 572.

وهذا الرأي الذي فنّده أبو حيان هو الفصل إذ جعل الأمور في نصابها، فالخبر هنا هو"كفوا" والجار والمجرور (له) متعلق بالخبر مقدما عليه لاشتماله على ضمير يعود على المولى عز وجل فاستحق التقديم لهذا وللاهتمام به، أما تقديم الخبر هنا فهو جوازا، وحقّه التأخير، إلا أنّ اسم كان حسن تأخيره لكونه فاصلة أي أن كلمة أحد مبنية على حرف الدال الذي بنيت عليه فواصل السورة جميعا، ومن هنا حسن تأخير اسم كان رعاية للتشاكل الصوتي ومناسبة للإيقاع المتولد من هذا التشاكل.

وهذا الرأي الذي ارتآه أبو حيان هو خلاصة رأي أغلب البلاغيين والمفسرين.[1]

3)- تقديم خبر إنّ على اسمها:

قد يتقدم خبر "إنّ" على اسمها، وفي القرآن ليس للخبر المقدم إلا نوع واحد وهو شبه الجملة، وبما أنّ "إنّ" حرف توكيد، فإن الغرض الأول من تقديم خبرها على اسمها هو تسليط التوكيد عليه .

ومن أمثلة هذا التقديم قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[2] .وهاتان الآيتان وردتا على هيكلة تركيبية واحدة هي:

حرف ناسخ "إنّ" + خبر "إنّ" شبه جملة مقدم + اسم إنّ معرفة مؤخر.

وسبب تقديم الخبر هنا على غير القياس هو أنّ المبتدأ معرفة مستحق للتقديم وتأخيره على غير قياس، وأصل الكلام في غير القرآن: "إنّ إيابهم إلينا ثم إنّ حسابهم علينا"، وتسبيق الآية "بإنّ" فيه توكيد لحتمية المعاد والحساب .

ومع هذا التوكيد تحقق بالتقديم أغراض بلاغية أخرى، قال الزمخشري :« فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟ قلت: معناه التشديد في الوعيد، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه، وهو الذي يحاسب على النّقير والقطمير ».[3]

وإذا نظرنا في التحرير والتنوير نجد في التقديم قولا آخر في التخصيص والتشديد في الوعيد،

---

[1] – ينظر : الأخفش، معاني القرآن، تحقيق :عبد الأمير محمد أمين، عالم الكتب، ج2، ص 589 / وينظر : النحاس، إعراب القرآن، تحقيق :محمد تامر ومحمد رضوان، دار الحديث، القاهرة، (1428هـ-2007م)، ج5، ص 312.

[2] – الغاشية آية 25-26.

[3] – الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 745.

حيث يقول الشيخ ابن عاشور: « وتقديم خبر "إن" على اسمها يظهر لمجرد الاهتمام تحقيقا لهذا الرجوع لأنهم ينكرونه وتنبيها على إمكانه بأنه رجوع إلى الذي أنشأهم أول مرة ».[1]

هذا وقد انشغل المفسرون والبلاغيون بالجانب المعنوي من وراء هذا التقديم وأغفلوا الجانب الجمالي فيه، « فبالتقديم تم التناسب اللفظي برعاية النظم وبرعاية الفاصلة، لأن التقديم الذي في الآية الثانية حقق علاوة على الأغراض المعنوية المشار إليها رعاية النظم بالتقديم في الآية الأولى حيث حدث توازن كيفي بين الآيتين، والتقديم في الموضعين جعل فاصلة الآيتين تكاد تكون كلمة واحدة باتفاق الفاصلة في أربعة أحرف من ستة أحرف في كلمة الفاصلة "إياهم، حسابهم"، وهذا النوع من الفاصلة قلّ وجوده في القرآن الكريم، وهذا الشق اللفظي الجمالي لا يتعارض مع الشق المعنوي بل هو محقّق لوجوده ومؤكّد لظهوره».[2]

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] حيث قدّم "علينا "في موضع، وقدّم "لنا" في موضع آخر، والمقدّم في الموضعين سبق بمؤكّد لفظي، وفي هذا التقديم تناسق لفظي، سمح للفاصلة أن تكون متقاربة وتقوّى هذا التقارب في الموضعين بمدّ الروي.

من ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [4]،﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾[5]، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ [6].

فهذه الآيات روعي فيها بناء الفاصلة في سياق بناء الجملة وذلك حتى تتوافق مع الإيقاع المتولّد من بناء الفواصل على التماثل والمناسبة.

وعلى كلّ فإنّ بناء وتشكيل الفاصلة في سياقات التقديم والتأخير في الجملة الاسمية كان خاضعا في المقام الأول لمفردات الحكم النحوي في تفصيلات تقديم الخبر وما يتبعه من أغراض هذا

---

[1] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسي للنشر، تونس، (1984م)، ج30، ص308.

[2] – علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، (2006م)، ج2، ص 539-540.

[3] – الليل آية 12-13.

[4] – القلم آية 3.

[5] – القيامة آية 18.

[6] – النبأ آية 31.

التقديم والدلالات المستفادة منه المتضافرة مع خصائص الفاصلة وتوظيفها في السياق اللغوي.

القسم الثاني: ما يختص بالجملة الفعلية:

تدور الهيئة البنائية للجملة الفعلية على اعتماد الفعل والفاعل ركنين أصليين لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا قيام للهيكلة التركيبية في الجملة الفعلية بأحدهما دون الآخر، ويتعدى الفعل على نصب ركن آخر هو المفعول به، ويمنحه رخصًا تركيبية غاية في الجمال، فيمنحه التقدم على الفاعل، بل التقدم عن الفعل نفسه، وفقا لمنظومة سياقية يؤديها المفعول في هذه التحركات، وما يعنينا هنا هو ملابسات سياقات التقديم والتأخير لسياقات الفاصلة في الجملة الفعلية، ولدا فإنّ سياقات التقديم والتأخير في الجملة الفعلية في تقاطعاتها مع سياقات الفاصلة تشمل ما يأتي:

1)- تقديم المفعول به على الفاعل.

2)- تقديم المفعول به على الفعل.

3)- تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول.

1)- تقديم المفعول به على الفاعل:

إنّ المعتاد في اللّغة العربية أن يقدم الفاعل على المفعول به في درج الكلام، إلا إذا وجد مانع لفظي ممّا حدده النحاة، كأن يكون المفعول ضميرا متصلا إذا تأخر وجب اتصاله مثل قوله تعالى: ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾[1] قدم فيها المفعول به "هاء الغيبة" في الفعل "علّمه" على الفاعل "شديد القوى" وهذا التقديم واجب لكون المفعول ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا، أو أن يكون المفعول مما له حق الصدارة في الكلام كأسماء الشرط والاستفهام.

لكن أن يأتي تقديم المفعول بغير ضرورة نحوية فلا بدّ أن يكون لذلك ملمح دلالي جمالي استدعاه المقام و تركيب الآية، ومن شواهده في الفواصل قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾[2] فقد قدّم المفعول به "آل فرعون" على الفاعل "النّذر" جوازا على غير قياس، لكون كلّ من الفاعل

[1] - النجم آية 5.

[2] - القمر آية 41.

والمفعول اسمين ظاهرين، وقد أفاد من الناحية البلاغية إبطال الحجة لأنّ الله عزّ وجلّ إذا عذّبهم وعمّهم بالعذاب فقد أبطل حجتهم بإرسال الرّسل "النّذر".

«وفي تقديم المفعول إفادة اختصاصه بتلك النّذر دون غيره في ذلك الزمان... ولعلّنا نلحظ كذلك أن آل فرعون متقدمون في الزمان على النّذر التي جاء بها موسى، فقدّم ما هو متقدم في الزمان كذلك ».[1]

أما من ناحية الفاصلة فإن إعادة الجملة على ترتيبها، في غير القرآن، يكون كما يأتي: "ولقد جاء النّذر آل فرعون"، وإذا تمّ اعتماد كلمة "آل فرعون" فاصلة فإن ذلك لا يتواءم مع ما سبقها من فواصل السورة، إذ إن فواصل سورة القمر كلها مبنية على حرف الرّاء المسبوق بحرف متحرك، ولو جاءت الجملة على ترتيبها الأصلي لكان هناك نبوٌّ إيقاعيٌّ، ونشازٌ موسيقيٌ في سياق السورة وعلى هذا يمكن القول أن: "الفاعل أخر لأجل الفاصلة"[2].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [3] . فهذه الآية قدّم فيها المعمول على عامله وهيكلها البنائي هو:

فعل + جار ومجرور + مفعول به مقدم + فاعل مؤخر.

«وأصل الكلام: "فأوجس موسى في نفسه خيفة"، فقدّم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول، وبحرف الجر ومجروره، قصدا لتحسين النّظم ورعاية الفاصلة».[4]

وقد جعل ابن الأثير هذه الآية دليلا على إبطال قول الزمخشري بالاختصاص في تقديم المفعول مقرّرًا من خلالها أنه ليس كل تقديم لما مكانة التأخير من باب الاختصاص، فقال: « وإنما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر، قصدًا لتحسين النّظم، وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص، فبطل إذا ما ذهب إليه الزمخشري وغيره ».[5]

---

[1] – السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص 98.

[2] – الزركشي، البرهان، ج1، ص63.

[3] – طه آية 67.

[4] – عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، (1402هـ-1982م)، ص29.

[5] – ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص219.

وأغلب علماء المعاني ذهبوا إلى أن الغرض من تقديم المفعول في هذه الآية وتأخير الفاعل هو رعاية الفاصلة [1].

ومنه يمكننا القول أن تقديم المفعول حقّق الاهتمام بالمقدّم من جهة إضافة إلى بيان الغرض اللّفظي بتحقيق التناسب برعاية الفاصلة من جهة أخرى.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾[2]، حيث قدّم المفعول "عرش ربك" اهتماما من الخلق وانتباها إليه، وانتظارا للحساب، وأخر الفاعل "ثمانية" وهم ثمانية أملاك يحملون العرش على رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون[3] وقد حسّن هذا التقديم طول الفاصلة بين الفاعل المؤخر والفعل المقدم، حيث فصل بين الفاعل وفعله بالمفعول به وبظرفي المكان والزمان، فجاء الهيكل التركيبي للجملة كما يأتي:

فعل + مفعول به مقدم + ظرف مكان + ظرف زمان + فاعل مؤخر.

وبهذا التقديم تحقق التناسب برعاية الفاصلة، فقد جاء الفاعل رأس آية فتماثلت الفاصلة مع غيرها من الفواصل المختومة بالتاء المربوطة المسبوقة بالياء المفتوحة.

2)- تقديم المفعول به على الفعل:

يقرّر النّحويون مواضع لتقديم المفعول به على الفعل، ككون المفعول به من الأسماء التي لها حق الصدارة كأسماء الاستفهام وأسماء الشرط وكم الخبرية، أو أن يكون المفعول به ضميرا منفصلا، لو تأخّر للزم اتصاله، أو أن يقع المفعول به في جواب أمّا الظاهرة أو المقدرة ولا يفصل بينها وبين الفعل سوى المفعول به.[4]

من ذلك قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ ﴾[5]، فقد تقدم المفعول به في الآيتين، وهو" اليتيم" في الأولى و"السائل" في الثانية، وحقّه التأخير في صناعة الإعراب،

---

[1] - ينظر : الألوسي، روح المعاني، ج16، ص268./ وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص293.

[2] - الحاقة آية 17.

[3] - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص602.

[4] - ينظر : ابن جني، الخصائص، ج2، ص384.

[5] - الضحى آية 9-10.

وقد جاء ذلك مراعاة لنسق الفاصلة من جهة وإلى الاختصاص من جهة أخرى للعنايـــة في الأمـــر، ورأى ابن الأثير أنه: « إنما قدم لمكان حسن النظم السجعي ».[1]

وعاد بها إبراهيم أنيس « إلى مراعاة موسيقى الفاصلة القرآنية، إذ لا يصحّ للمفعول أن يسبق ركني الإسناد في الجملة المثبتة كما يزعم أصحاب البلاغة ».[2]

وقد تقدم المفعول في هذه الآية وبعض الآيات الأخريات في هذه السورة وجوبا: « إذ وقـــع عامله بعد الفاء الجزائية في جواب "أمّا" ... وتقديم المفعول وجوبا في حالة وقوعه بعد الفاء الجزائية في جواب أمّا المقدرة في قوله تعالى:﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [3] وقد اقتضت الفاصلة ووظيفة "أما" النحوية التقديم والتأخير، لتنتظم الفاصلة في سلك وتيرة الآيات السابقة التي اتّخذت "الراء" فاصلة في الآيات السابقة واللاحقة ».[4]

وقوله تعالى:﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [5]، ففي هـــذه الآية تقديم للمعمول "أنفسهم" على عامله "يظلمون"، و «لا يخفى أن ذلك كله لمراعاة الفواصل من جهة الإيقاع، ثم للتخصيص بالتقديم، ذلك أن في تقديم المفعول على الفعل والفاعل مزيد اختصاص بكونهم هم ظالمي أنفسهم و لم يظلمهم أحد ».[6]

وفي هذه الآية نجد أنّ تقديم كلمة أنفس يخدم عددا من الجهات، فهو من حيث النّسق يؤدي إلى توافق الفاصلة القرآنية، وهي آخر الآية مع الفواصل السابقة واللاحقة، إذ تختم الفواصل بواو المدّ أو يائه والنّون، ولو تأخرت فقال: " ولكن الناس يظلمون أنفسهم " لاختل نسق الفواصل القرآنية، ورؤوس الآي، وتقديم كلمة أنفسهم من جهة أخرى يفيد تخصيص الناس الظلم أنفسهم، لأنك إذا قدمت الفعل فإنك تكون بالخيار في إيقاعه على أي مفعول أردت وفي المفعول على الفعل تقديم فإنه يلتزم الاختصاص .

---

[1] – ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص221.

[2] – إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص312.

[3] – المدثر آية 3.

[4] – أحمد إسماعيل عبد الكريم، مقال : تناسب الفواصل القرآنية، مجلة الثقافة والتراث، مصر، ع 59، ص13.

[5] – التوبة الآية 70.

[6] – السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص100.

وعليه نقول أن تقديم المفعول "أنفس" أفاد غرضين:

الأول: إيقاعي وهو إجراء الفاصلة بالنون لتتوافق إيقاعيا مع غيرها.

والثاني: بلاغي وهو اختصاصهم بظلم أنفسهم.

3)- تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول:

ورد هذا التقديم في قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [1]، حيث قدّم المفعول الثاني على الفعل والفاعل والمفعول الأول، فجاءت الجملة على الهيئة التركيبية الآتية:

مفعول ثان + فعل + فاعل + مفعول أول.

وكان الأصل في بناء الجملة أن يكون " صلّوه الجحيم " أي:

فعل + فاعل + مفعول أول + مفعول ثان.

وقد رد الزمخشري سبب هذا التقديم إلى الاختصاص فقال: « "ثم الجحيم صلوه" ثم لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس».[2]

بينما أنكر ابن الأثير رأي الزمخشري من أن تقديم المفعول يفيد الاختصاص، فقال: « فإن تقديم الجحيم على التصلية، وإن كان فيه تقديم المفعول على الفعل إلا أنه لم يكن هنا للاختصاص وإنما للفضيلة السجعية، ولا مراء في أن هذا النظم على هذه الصورة أحسن من القول: "خذوه فغلوه، ثم صلوه الجحيم"».[3]

واعتمد ابن الأثير في ردّه على الزمخشري على أدلة أهمها:

1- إن القول بتقديم الجحيم للاختصاص لأنها نار عظيمة، قول غير صحيح، فالدرك الأسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يخصّ بالذكر دون الجحيم.

2- الجحيم هنا بمعنى النّار التي من أسمائها السعير ولظى وجهنّم، واستعمالها في هذا السياق

---

[1] - الحاقة آية 30-31.

[2] - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص604.

[3] - ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص219.

أضفى على الكلام طلاوة وحسنا لا يتحققان في غيرها، وليس في السياق أية إشـــارة إلى تعظـــيم الجحيم.

3- نفي تقديم الجحيم للاختصاص في الآية يثبته نظم الكلام في الآية التالية لها، وهي: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾[1]، فالقرآن لم يقدّم السلسلة على سلك الاختصاص وإنما قدمت لمكان نظم الكلام، ولا شكّ أنّ هذا أحسن من أن يقال: ثم أسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا .[2]

لكن الباحث في كتب التفسير يجد أن القول بأن تقديم الجحيم غرضه الاختصاص لم يقل بـــه الزمخشري دون سواه، بل تبنّى هذا الرّأي مفسرون آخرون من أمثال البيضاوي[3] وأبي السعود[4].

وهذا يعني أن رأي الزمخشري ليس مجانبا للصواب تماما كما رأى ابن الأثير، وفي الوقت نفسه لم ينحصر أثر التقديم في المعنى فحسب، وإنّما دوره في الإيقاع والوزن لا ينكره أحد.

فلا جرم إذن أن يكون الجمع بين الأمرين أصوب، لأن ميزات القرآن تناسب الإيقـــاع مـــع المعنى إذ لا يصح أن يقع التقديم والتأخير من أجل الفضيلة السجعية – على رأي ابن الأثـــير- وإلا كانت فواصل القرآن مفرغة من معانيها ليس لها من غاية سوى إحداث نغم صوتي جميل تطرب له النفس، والحقّ أن البيان الأعلى لا يتعلق في الفاصلة القرآنية بمجرد رعاية شكلية للرونق اللّفظي بـــل تأتي الفواصل لمقتضيات معنوية مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل، وائتلاف الجـــرس لألفاظهـــا الـــتي اقتضتها المعاني على نحو تتقاصر دونه بلاغة البلغاء.

القسم الثالث: ما يختص بالمكمّلات

تقديم المكمّلات في سياق الفاصلة القرآنية ورد ممثلا في أربعة أمور:

---

[1] – الحاقة آية 32.

[2] – ابن الأثير، المصدر نفسه، ج2، ص220.

[3] – ينظر :ناصر الدين البيضاوي، تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح : عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت، (1402هـــ-1982م)، ج29، ص757.

[4] – محمود أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1419هـــ-1999م)، ج6، ص297.

1)- تقديم المفعول المطلق.

2)- تقديم الحال على عاملها.

3)- تقديم النعت على منعوته.

4)- تقديم أشباه الجمل.

1- تقديم المفعول المطلق:

المفعول المطلق أحد المكملات في الجملة الفعلية، والمنوط به أداء أدوار دلالية غاية في الأهمية، إذ يرجى من وراء توظيفه أغراضٌ تتضافر مع الأغراض المتوكدة من سياقات تقديمه، ولتقديم المفعول المطلق في القرآن الكريم صورتان، واحدة قدّم فيها المفعول المطلق على الفاعل، وأخرى قدّم فيها على فعله.

(أ)- ورد تقديم المفعول المطلق على الفاعل في موضعين من قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ ﴾[1] فالبناء التركيبي للآية هو:

ظرف + حرف نفي + فعل + مفعول مطلق + فاعل.

حيث قدم "عذابه" على الفاعل "أحد"، وكذلك "وثاقه" على أحد في الآية الثانية، و"العذاب والوثاق اسمان للتعذيب والإيثاق"[2] وكل منهما نائب عن المصدر والضمير في "عذابه" و "وثائقه" عائد « على الله تعالى أي لا يتولى عذاب الله أحد، لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم، أو للإنسان أي: لا يعذّب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه ».[3]

والغرض من التقديم هنا هو: « إظهار ما يلقاه الكافر وإبراز شدة التنكيل به في ذلك اليوم، حيث ينكل به في نار جهنّم ويوثق فيها بالسلاسل والأغلال، وفي إظهار ما يلقاه الكافر وبيان أن ذلك لا يَكِلِ الله أمره إلى أحد سواه... وقد تقوى هذا الوعيد واشتد ذلك التنكيل، بما أحدثه التقديم من رعاية للنظم وتناسب في الفاصلة التي جاءت على صوت الدال، ولا يخفى ما فيه من قوة

1 - الفجر آية 25-26.

2 -أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق :علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،لبنان، ط2(1407هـ-1986م)، ج2، ص1287.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص752.

الصدم».[1]

(ب)– ورد تقديم المفعول المطلق على فعله في سياق الفاصلة في مواضع لم يذكر فيها المفعول المطلق بلفظه بل ذكرت صفته، حيث نابت عنه في القيام بوظيفته نحويا وبلاغيا،

من ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾.[2]

وقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [3]،

و ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ [4]،

و﴿مِّنكُمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [5]،

وقوله:﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [6]

فما حدث هو أن المفعول المطلق حذف ليقوم نائباه "كذلك "، "وقليلا " بدوره، وهي أن تكون صفات المفعول المطلق، والتي أصبحت نائبة عنه هي الفاصلة، لكن بعد حدوث التقديم، تحول مركز الثقل الدلالي في الآيات ليصبح في الفعل ومن ثمّة تصبح الأفعال هي الفواصل في هذه الآيات، ففي آية سورة البقرة، يرى صاحب كتاب التبيان أنّ: "قليلا" منصوب صفة لمصدر محذوف، وما زائدة أي فإيمانا قليلا يؤمنون، وقيل صفة لظرف محذوف أي فزمنًا قليلا يؤمنون، ولا يجوز أن تكون "ما" مصدرية لأن قليلا لا يبقى له ناصب، وقيل "ما" نافية، أي فما يؤمنون قليلا ولا كثيرا، ومثله "قليلا ما تشكرون " "قليلا ما تذكرون"،وهذا أقوى في المعنى وإنما يضعف شيئا من جهة تقدّم معمول" ما "في حيّز عملها[7] .

و"يجوز أن تكون القلة بمعنى العدم"[8] .

---

[1] – علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير، ج2، ص718.

[2] – القمر آية 35.

[3] – الأعراف آية 10 / الملك آية 23.

[4] – الحاقة آية 41.

[5] – البقرة آية 88.

[6] – الأعراف آية 3/ النمل آية 64/ غافر آية 58/ الحاقة آية 42.

[7] – العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص90.

[8] – الزمخشري، الكشاف، ج1، ص164.

والرأي الأول هو الأوجه فإليه ذهب الزمخشري حيث رأى أن " المعنى " فإيمانا قليلا يؤمنون"[1]

وإليه ذهب كذلك أبو حيان فبعد أن ذكر كل أوجه الإعراب قال: « والأحسن من هذه كلّها هو الأول، وهو أن يكون المعنى فإيمانا قليلا يؤمنون، لأن دلالة الفعل على مصدره أقوى من دلالته على الزمان وعلى الهيئة وعلى المفعول وعلى الفاعل،[2] ومن ثمّ كان التقديم للحفاظ على النّسق الموسيقي والإيقاعي المتولد من بناء الفواصل على حرف واحد.

2- تقديم الحال على عاملها:

قد يكون عامل الحال فعلا متصرفا أو ما اشتق منه، وقد يكون غير ذلك حيث يأتي جارا أو مجرورا، أو غيره مما ليس من لفظ الفعل، وقد عبروا عن الأول بالعامل اللفظي، وعن الثاني بالعامل المعنوي.[3]

ووردت الفاصلة في جملة الحال المتقاطعة مع سياقات التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .[4]

والتقديم هنا أكّد إعراضهم عن السماع فضلا عن الإيمان، فالحال مؤكدة وتقديمها أظهر هذا التوكيد ونبّه إليه، فقد كانوا يعرضون عن سماع الآيات أشدّ الإعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها.[5]

وبتقديم الحال شبه جملة على عاملها تحقق التناسب برعاية الفاصلة حيث جاءت الفاصلة على حرف النون مردوفا بالواو فتماثلت مع غيرها.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[6] فـ" على الأرائك" متعلق

---

[1] – الزمخشري، المصدر نفسه، ج1، ص164.

[2] – أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص302.

[3] –ينظر: ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الطلائع، الرياض، (2004م)، ج2، ص273.

[4] – المؤمنون آية 66.

[5] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص424.

[6] – المطففين آية 22-23.

بـــ "ينظرون" أو حال من الضمير المجرور في "في نعيم" أو من الفاعل في "ينظرون".[1]

فالأبرار ينظرون وهم على الأرائك « إلى ما شاءوا مدّ أعينهم إليه من مناظر الجنة وإلى مـــا أولاهم الله من النعمة والكرامة وإلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبـــصارهم عـــن الإدراك »[2].

ومنه كان الغرض من تقديم الحال شبه جملة على العامل وهو إظهار حالهم في الراحة والتـــنعم وسعادتهم في الفوز بالمقام الدائم، وفي الوقت نفسه حقق ذلك تناسبا إيقاعيا برعاية الفاصلة التي هي مبنية على حرف النون في أغلب آيات السورة.

3)- تقديم النعت على منعوته:

المعروف في العربية متابعة الصفة للموصوف فيرى ابن جني : « أنه لا يجوز تقديم الصفة عن الموصوف »[3]، فإذا حدث وقدّمت الصفة فإنها تتخلى عن وظيفتها كصفة وتمنح وظيفة أخرى « فلا يجوز تقدم الصفة على الموصوف مع بقاء إعرابه صفة كما كان قبل التقـــدم ».[4]، والوظيفـــة الجديدة له منظور فيها إلى تعريف وتنكير الموصوف السابق، فهو إما أن يكون نكرة، وإما أن يكون معرفة، وعليه يمكن تقسيم التقديم في هذا الباب إلى ضربين:

الضرب الأول: تقديم نعت النكرة : قال النحويون إنه إذا تقدم نعت النكرة عليها نـــصب على الحال ليفرق بين تقدمه وتأخره في ذلك.

من ذلك قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾[5]، و"عليكم" في« موضع نـــصب على الحال، وهو في الأصل صفة للحجة، فلما تقدم عليها انتصب على الحال ».[6]

وفي قوله : ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ﴾[7] قال الزمخشري : « فإن قلت فيم يتعلق "

---

[1] – العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص 1277.

[2] – الزمخشري، الكشاف، ج4، ص723.

[3] – ابن جني، الخصائص، ج2، ص385.

[4] – فضل عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط8، ج3، ص498.

[5] – البقرة آية 149.

[6] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص41.

[7] – هود آية 64.

لكم" قلت : « بآية حالا منها متقدمة، لأنّها لو تأخرت لكانت صفة لها، فلما تقدّمت انتصب على الحال ».[1]

فالتقديم أحدث تغييرا في الوظيفة فصار النعت حالا، والمنعوت صاحب الحال، لأن الصفة المتقدمة نكرة.

الضرب الثاني: تقديم نعت المعرفة: « والصفة في هذه الحال لا تتقدم على الموصوف إلا على جهة البدل، قال ابن عصفور :« ولا يجوز تقديم الصفة على الموصوف إلا حيث سمع، وتكون الصفة إذ ذاك مبنية على العامل المتقدم وما بعدها بدل منها ».[2]

فمن تقدمها ما ورد في قول النابغة:

وَالْمُؤْمِنِ العَائِذَاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُهَا * رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الغَيْلِ وَالسَّعدِ.**[3]

تقدمت فيه "العائدات" على الطير، و "الطير" بدل، وبذلك يصير النعت المقدم مبدلا منه والمنعوت بدلا، ويعرب المبدل منه حسب وضعه في الجملة.

وهذا النوع من النعت المعرفة المقدم « لا يوجد فيه – فيما وصل إليه علمي– شيء في القرآن الكريم ».[4]

أما تقديم نعت النكرة التي اصطلح على إعرابها حالا مقدمة على صاحبها فممّا ورد منها في سياق الفاصلة قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[5] فالجار والمجرور "من عمرك" « في موضع الحال من سنين كما هو المعروف من نعت النكرة إذا قدم».[6]

والغرض من تقديم النعت على المنعوت الاهتمام بإظهاره، وتمّ بالتقديم هنا التناسب برعاية

---

[1] – الزمخشري، الكشاف، ج2، ص218.

[2] – ابن عصفور، شرح جمل الزجاج، تحقيق :صاحب أبو جناح، ج1، ص218.

[3]– البيت من بحر البسيط، للنابغة الذبياني، ينظر الديوان، ت:حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: (02)، (1426هـ - 2005م)، ص: 36.

[4] أبو ا لقاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير، ج3، ص911.

[5] – الشعراء آية 18.

[6] – الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج19، ص68.

الفاصلة.

وفي قوله تعالى:﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ 7[1]، فالمجرور باللام « في موقع النعت ل " باقية " قدم عليها فصار حالا ».[2]

والغرض من تقديم النعت الاهتمام بمدلول الجار والمجرور، وصحب ذلك وقوع المؤخر وهو صاحب الحال رأس آية فتحقق التناسب برعاية الفاصلة.

4 ــ تقديم أشباه الجمل :

المقصود بأشباه الجمل هنا الظرف والجار والمجرور، وتوظيفهما في سياق التقديم والتأخير أمر غريب، إذ أن التقرير النّحوي لأشباه الجمل أنّها ممّا لا رتبة له، والعرب تتوسع فيهما ما لا تتوسع في غيرهما، ولكننا في سياق الفاصلة القرآنية وجدنا لأشباه الجمل دورا كبيرا ومؤثرا في توجيه التقديم والتأخير، يقول العلوي : « اعلم أنّ الظرف لا يخلو حاله إمّا أن يكون واردًا في الإثبات أو يكون واردًا في النفي، فإذا ورد في الإثبات فتقديمه على عامله إنّما يكون لغرض لا يحصل مع تأخيره »[3].

ثم يقول : « وقد يظنّ الظانّ أنّ تقديم الظرف إنما يكون مقصورا على الاختصاص وليس الأمر كما ظنّه كما حققناه، بل كما يحتمل المشاكلة -كما أشرنا إليه- فهو يحتمل الاختصاص فهما محتملان كما ترى»[4].

ومن أهم المواضع التي كان لأشباه الجمل فيها الكلمة العليا في توجيه دلالات الفواصل القرآنية ما يأتي :

أ- تقديم الظرف والجار والمجرور على الفعل والفاعل .

ب- تقديم الظرف والجار والمجرور على المفعول به .

ج- تقديم الظرف والجار والمجرور على الحال .

د- تقديم الظرف والجار والمجرور على المفعول المطلق .

---

[1] - الحاقة آية 8.

[2] - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29. ص 120.

[3] - العلوي، الطراز، ج2، ص70.

[4] - العلوي، المصدر السابق، ج2، ص71.

أ- تقديم الظرف والجار والمجرور على الفعل والفاعل :

كقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [1]، ففي هذه الآية قدّم الظرف "يومئذ" على الفعل والفاعل، وفي التقديم اهتمام بالظرف الذي يدل على عظمة الحدث ومهابته ورهبته، وبتقديم الظرف تأخر الفعل ووقع الفاعل رأس آية فتناسبت الفواصل مع غيرها من فواصل السورة المنتهية بالتاء المربوطة.

ومن مواضع تقديم الجار والمجرور على الفعل قوله تعالى : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [2] قدم المجرور "في النار" على الفعل يسجرون والمعنى ثم يحرقون في النار أي النار محيطة بهم وهم محرقون بها، مملوءة بها أجوافهم"[3].

والبناء التركيبي للجملة هو :

جار ومجرور + فعل + نائب فاعل .

والأصل في الجملة أن يتقدم الفعل ونائبه على شبه الجملة، وفي تقديم الجار والمجرور على الفعل تحقق التناسب ورعاية الفاصلة .

ومن تقديم الجار والمجرور على الفعل دون الفاعل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[4]، تأخر الفاعل "الأسباب" على الجار والمجرور، وبتقديمه تحقق التناسب الإيقاعي في الفاصلة حيث جاءت متماثلة مع ما قبلها في الرّوي، فرأس الآية السابقة هو كلمة "عذاب" .

ب- تقديم الظرف والجار والمجرور على المفعول به :

من ذلك قوله تعالى : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[5]، تقدم الجار والمجرور "لله" على ما هو أولى

---

[1] - الحاقة آية 15.

[2] - غافر آية 71-72.

[3] - بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2(1418هـ-1998م)، ج10، ص296.

[4] - البقرة آية 166.

[5] - نوح آية 13.

منه بالتقديم وهو المفعول به "وقارا".

وهذا التقديم يفنده الزمخشري بقوله : «ما لكم لا تكونون على حال يكون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب، ولله بيان للموقر، ولو تأخر لكان صلة للوقار»[1]

كما أن لهذا التقديم دورًا في المشاكلة الصوتية للفاصلة في السورة، إذ هي مبنية في معظم فواصلها حرف الراء المعانق لألف المدّ .

ومن تقديم الظرف على المفعول به قوله : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ [2]، قدم الظرف خلالهما على المفعول "نهرا"،وبتقديم الظرف تحقق التناسب برعاية الفاصلة، فرأس الآية السابقة لهذه الآية "مرتفقا" ورأس الآية اللاحقة هو "نفرا" فحصل بذلك تناسب الفاصلة مع باقي الفواصل .

ج- تقديم الظرف والجار والمجرور على الحال :

قد يتقدم الظرف والجار والمجرور -وهما متعلقان بالفعل- على الحال، وقد يؤدي هذا التقديم إلى الفصل بين الحال وصاحبها، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[3] .

«حيث قدم "في الأرض" على الحال "مفسدين" ومفسدين حال مؤكدة، لأن قوله لا تعثوا = لا تفسدوا »[4].

والغرض من تقديم "في الأرض" الاهتمام بالنهي عن عدم الإفساد فيها، وتم مع هذا الغرض المعنوي غرض لفظي وهو التناسب بين الفواصل .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[5]، أي : « عميا لأن العين إذا ذهب نورها زرق ناظرها، وقيل زرق ألوان أبدانهم وذلك غاية التشويه ».[6]

---

[1] -الزمخشري، الكشاف، ج4، ص163.

[2] - الكهف آية 33.

[3] - البقرة آية 60.

[4] - العكبري، البيان في إعراب القرآن، ج1، ص67.

[5] - طه آية 102.

[6] - أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص285.

و"يومئذ" ظرف مقدم على الحال الذي وقع رأس الآية فتحقق التناسب .

وقوله : ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [1] « فكلمة "يعمهون" هو حال ضمير الغائبين في يمدهم وفي "طغيانهم" متعلق بمدهم أيضا وإن شئت بـ "يعمهون"».[2]

والغرض من تقديم متعلق الفعل في "طغيانهم" على الحال وفصله بين الحال وصاحبها هو «إظهار الاهتمام ببيان استمرارهم في الطغيان وتوكيد إصرارهم عليه وإفراطهم في العتو وغلوهم في الكفر، إضافة إلى الاهتمام والتوكيد تحقق التناسب برعاية الفاصلة، حيث وقع الحال رأس آية فتماثلت الفاصلة مع غيرها في الروي وهو صوت النون مردوفا بالواو ... »[3].

د- تقديم الظرف والجار والمجرور على المفعول المطلق :

تقدم الجار والمجرور وهو متعلق بالفعل على المفعول ا لمطلق في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ [4] «"صدودا" مصدر مؤكد لفعله أي يعرضون عنك إعراضا»[5].

وتقديم المجرور عنك وتأخير المفعول المطلق "صدودا" حقق تناسبا إيقاعيا في فواصل الآيات.

وفي قوله تعالى : ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴾ [6] فقدم الظرف "يومئذ" والجار والمجرور "للكافرين" وهما متعلقان بالفعل "عرضا" على المفعول المطلق "عرضا"، فحقق بذلك الاهتمام بيوم العرض من جهة، ومن جهة أخرى حقق التناسب الإيقاعي في آخر الآية .

وفي ذلك إظهار لهول الموقف وفظاعته، وفي تقديم الجار والمجرور على المفعول المطلق تحقق التناسب ورعاية الفاصلة .

---

[1] - البقرة آية 15.

[2] - العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص31.

[3] - أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير، ج3، ص867.

[4] - النساء آية 61.

[5] - أبو ا لسعود، إرشاد العقل السليم، ج2، ص157.

[6] - الكهف آية 100.

المبحث الثاني:أثر الفاصلة القرآنية في الحــذف:

للجملة في اللغة العربية أنماط تركيبية معينة، فلها عناصرها الأساسية أو ما يطلق عليه عمــد الكلام (أي المسند والمسند إليه)، وعناصرها الفرعية غير الأساسية أو ما يطلقون عليه الفــضلات أو المكملات (المفعول به، المضاف إليه ...) وفي تلك العناصر ما يفتقر إلى غيره، وما لا يستغني المعــنى عن تقديره، فإذا لم تشتمل الجملة على أحد أركانها أو ما يقتضيه التركيب من عناصر ثم اتضح المعنى دون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عُدّ ذلك حذفا .

والحذف ظاهرة مشهورة في الدرس النحوي، وتكاد هذه الظاهرة أن تكون في معظم أبواب النحو، حيث إنّ العربية تميل إلى الإيجاز وعدم التكرار وحذف ما يمكن فهمه من السياق « فالمحذوفات في كلامهم كثيرة، والاختصار في كلام الفصحاء كثير موجود، إذا أنسوا بعلم المخاطب ما يعنون »[1].

والحذف من بين أهم الظواهر الإنزياحية التي تعتري التركيب، فإذا كان التقديم والتأخير يعمد إلى تغيير رتبة الوحدات – كما ذكرنا سابقا – فإن الحذف تغييب لهذه الوحدات، حيث يطــوى ذكرها لغايات أسلوبية وجمالية عديدة مع افتراض وجودها في الأصل.

وقد تحدث عنه كثير من النحاة وأشبعوه بحثا، ومن بينهم ابن جنّي الــذي سمّــاه "شــجاعة العربية"[2]، وقال : « قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته » .[3]

دفعهم إلى ذلك إما طلب الخفّة على اللّسان، وإمّا اتّساع الكلام والاختصار، واشترط في المحذوف أن يكون معلوما لدى السامع، وأنه سيتفطن إليه لدلالة الكلام عليه، قال : «ومن الاتساع قوله عزّ وجــلّ ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[4] .فلم يشبهوا بما ينعق وإنما شبهوا بالمنعوق به، وأن المعنى مثلكم ومثــل الــذين

[1]- ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق :عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3(1408هـــ-1988م)، ج2، ص324.

[2]- ابن جني، الخصائص، ج2، ص360.

[3]- ابن جني، المصدر نفسه، ج2، ص360.

[4]- البقرة آية 171 .

كفروا كمثل الناعق والمنعوق الذي لا يسمع ولكن جاء على سعة الكلام والإيجاز »[1] .

وبهذا يُعدّ سيبويه صاحب نظرية الحذف لكثرة الاستعمال، حيث فسّر في ضوئها كثيرا من الحذف في الصّيغ والتراكيب في كتابه، من ذلك تعليله لحذف خبر المبتدأ بعد "لولا" بكثرة الاستعمال، يقول: « لولا عبد الله كان بذلك المكان، ولولا القتال كان في زمان كذا وكذا، وهذا حذف حين كثر استعمالهم إيّاه في الكلام »[2].

وقد سار النحاة على نهج سيبويه في نظرته هذه في تعليل الحذف في كلام العرب بكثرة الاستعمال، فالمبرّد مثلا يذكر أن قولهم : « ما رأيت كاليوم رجلا، فالمعنى ما رأيت مثل رجل أراه اليوم رجلا، أي ما رأيت مثله في الرجال ولكنه حذف لكثرة استعمالهم له »[3].

وهو ما أشار إليه ابن جنّي أيضا حيث بيّن أنّ سبب الحذف هو ميل العرب إلى الإيجاز في كلامهم يقول : « واعلم أن العرب – مع ما ذكرنا – إلى الإيجاز أميل وعن الإكثار أبعد، ألا ترى حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه الحال وملالها »[4] .

وكثيرا ما علّل النّحويون الحذف في بعض الآيات الكريمة وفي بعض التراكيب برغبة المتكلم في الإيجاز والاختصار، غير أن بعضهم ثار على القول بالمحذوف في القرآن الكريم وتقديره، فاتّجهوا إلى نفي قضية الحذف وإنكارها بالكلية في تحليل النصوص ودراستها، سواء في ذلك الحذف والتقدير الذي يحتاج إليه النّص أم الحذف والتقدير الذي لا يتطلبه النّص، وحجّتهم في ذلك أن الحذف والتقدير يقومان على أساس افتراض وجود عناصر في النّص ليس لها وجود في الواقع.

من مثل ابن مضاء الذي رأى أن المحذوفات في صناعتهم ثلاثة أقسام:

الأول :محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقولك لمن رأيته يعطي الناس :"زيدا" أي أعط زيدا، فتحذفه وهو مراد وإن أظهرتم الكلام به ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾[5] وقوله : ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ سورة

---

[1]- ينظر:سيبويه، الكتاب، ج1، ص 108-109 .

[2]- ينظر:سيبويه، المصدر نفسه، ج2، ص 208 .

[3]- المبرّد، المقتضب، تحقيق :محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1962م)، ج2، ص 151

[4]- ابن جني، مصدر سابق، ج1، ص 83.

[5]- النحل آية 30.

البقرة [1]على قراءة من نصب وكذلك من رفع،وقوله عزّوجلّ: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾[2].

والثاني :محذوف لا حاجة إلى القول به، بل هو تام دونه، وإن أظهر كان عيبًا كقولك:" أزيدا ضربته"، فلا ضرورة إلى القول إن العامل محذوف.

والقسم الثالث : فهو مضمر إذا أظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره، كقولنا: "يا عبد الله"، وحكم سائر المناديات المضافة والنكرات ». [3]

وبعد أن تكلم عن هذه المحذوفات وتقديرها عند أهل الصناعة وهم النحاة عقّب بقوله: «وهذه المضمرات التي لا يجوز إظهارها لا يخلو من أن تكون معدومة في اللفظ موجودة معانيها في نفس القائل، أو تكون معدومة في النفس كما أن الألفاظ الدالة عليها معدومة في اللفظ، فإذا كانت لا وجود لها في النفس ولا للألفاظ الدالة عليها وجود في القول فما الذي ينصب إذن ؟ وما الذي يضمر؟3».[4]

ويلاحظ هنا أن ابن مضاء في المحذوفات ربط بين رأيه والشرع إذ يرى أن « التقدير وادعاء الزيادة في الكلام وخاصة في كلام الله حرام».[5]

والذي نودّ أن ننوّه عليه هنا هو أنّنا إذا قلنا إنّ في أسلوب القرآن حذفًا فلسنا ننسبه إلى مضمون القرآن، وإنما ننسبه إلى تركيب اللّغة.[6]

وقد سبق سيبويه ابن مضاء في التعرّض للحذف متى يكون ومتى لا يكون؟ فيذكر أن الحذف لا يكون مطلقا حيث أردنا الحذف وإنما يكون إذا كان المخاطب عالما به فيعتمد المتكلم على بديهة السامع في فهم المحذوف[7].

وقد أجمع ابن هشام على ثمانية شروط للحذف هي:

---

[1]–ا لبقرة آ آية 219.

[2]– الشمس آية 13.

[3] – ابن مضاء القرطبي، الرّد على النحاة، تحقيق :شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2(1988م)، ص 79.

[4] – ابن مضاء، المصدر نفسه، ص80.

[5] – ابن مضاء، المصدر نفسه، ص 81.

[6] – ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج2، ص 109.

[7] – ينظر : سيبويه، الكتاب، ج2، ص130/ج4،ص188.

1) ــ وجود دليل حالي كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [1] أي سلمنا سلاما، ومقالي مثل: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ [2] أي أنزل خيرا.

2) ــ ألا يكون المحذوف كالجزء فلا يحذف الفاعل ولا نائبه ولا مشبهه.

3) ــ ألا يكون الحذف مؤكدا، لأن المؤكد مريد للطول والحذف مريد للاختصار فهما متنافيان.

4) ــ ألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، لأنه يؤدي إلى عدم تمام المعنى وإخلاله فلا يحذف الفعل دون معمول له، لأنه اختصار للفعل.

5) ــ ألا يكون عاملا ضعيفا فلا يحذف الجار والجازم والناصب للفعل لأنها ضعيفة ومواضع حذفها إنما قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل ولا يجوز القياس عليها.

6) ــ ألا يكون عوضا عن شيء فلا تحذف " ما " في أما أنت منطلق، انطلقت والتاء من عدة واستقامة.

7-8) ــ ألا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي.[3]

وعلى هذا الأساس نقول إنه: « لا ضير على اللغة من التأويلات والتقديرات التي تبقى على أساس من فقه وشعور بالحس اللغوي عند أصحاب اللغة أنفسهم، ولا شك أن دوران جملة أو عبارة على الألسنة كثيرا ما ينحو بالجملة إلى الاختصار الممكن الذي لا يخلّ بالمعنى، أو إلى حذف بعض أجزائها التي تغني عنها القرائن القولية والحالية ».[4]

هذا، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنه قد يرد في باب الحذف مصطلح الإضمار، فهل هاتان اللفظتان متحدتان في الدلالة أم أن هناك فارقًا بينهما؟

---

[1] – هود آية 69.

[2] – النحل آية 30.

[3] – ابن هشام، المغني، تحقيق:مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت،ط(2007م)، ص561 ما بعدها.

[4] – عبد الله الخثران، ظاهرة التأويل في الدرس النحوي، النادي الأدبي – الرياض، ط1 (1408 هـ - 1988 م) ص143.

من خلال تأملنا لاستعمالات العلماء والباحثين لمصطلحي الحذف والإضمار وجـــدنا أن هذين المصطلحين يستعملان عند البعض [1] للتعبير عن قضية واحدة وهي قضية الحذف في الجملـــة النحوية. ولكن البعض الآخر[2] مال إلى التفريق بينهما في الاستعمال فجعل لكل مصطلح منهما مجالا يختلف عن مجال صاحبه، ومن بين الفروق التي ذكروها بين الحذف والإضمار أن في الحذف يكون ثمّة مقدر أما الإضمار فشرطه بقاء أثر المقدر في اللفظ، فلا بدّ في الإضمار من ملاحظة المقدر، فإنه من أضمرت الشيء أخفيته، قال الشاعر:

سَيَبْقَىْ لَها فِيْ مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا * سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تُبْلَىْ السَّرائِرُ** [3]

وأما الحذف فمن حذفت الشيء قطعته، وهو يشعر بالطرح، بخلاف الإضمار ولهذا قـــالوا: "أن" تنصب ظاهرة ومضمرة، ولم يقولوا : محذوفة لبقاء أثرها وهو النصب.[4]

كما نلفت الانتباه أيضا إلى أن ثمة ارتباطا وثيقا بين الحذف والتقدير ذلك أنهما «يوصلان إلى ضبط مالا يمكن ضبطه بغيرهما فثمة تراكيب إسنادية وقع فيها حذف لو لم نقدره ما استطعنا فهمهما الفهم السليم ».[5]

على أن علماء الإعجاز والبلاغة هم أول من لفت النظر إلى القيمة الفنية للحذف وأثـــره في المعاني والإيحاء، فالرماني وهو يتناول باب الإيجاز ذكر ضمنه آيات تضمنت الحذف معلّـــلا بلاغـــة الحذف بأن: «النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان».[6]

وفي هذا إشارة إلى ما للحذف من قيمة في الإيحاء وتوسيع الدلالة، وتعميق للإحساس لـــدى المتلقي عندما تذهب نفسه فيه كل مذهب، فيحسّ هذا المتلقي أنه ساهم في تكوين دلالة الـــنّص في

---

[1] – ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق :محمد عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت، (1993م)، ص211- 234.

[2] – ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص 368/ والسيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1(1984)، ج2، ص 63.

[3] – البيت للأحوص بن محمد الأنصاري، نسبه إليه ابن منظور في لسان العرب، ج6، ص 162.

[4] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 102.

[5] – رابح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن، عالم الكتب الحديثة، اربدـــ الأردن، جدار للكتاب العربي، عمان– الأردن، (1429هـــ-2009م) ص23.

[6] – الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 77.

هذا المجال الذي يشغل فيه آليات التأويل.

وهذا الذي ذهب إليه الرماني تابعه عليه الخطابي[1]، ويلاحظ عليهما تركيزهما على حذف ما هو أكبر من كلمة، أي تناولا حذف الجملة وبالتحديد حذف جواب الشرط، في حين نجد أن البلاغيين المتأخرين يركّزون على حذف المفردات، ولكنهم جميعا يتفقون على أن الحذف يشكل خروجا أو عدولا عن أصل مفترض يسعون إلى تقديره، كما أن هذا الحذف يشكل عندهم ظاهرة فنية وجمالية في التعبير « لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب وكل معلوم فهو هيّن لكونه محصورا ».[2]

ويسير عبد القاهر الجرجاني على درب من سبقه في الإعلاء من شأن الحذف وأنه أوفى بغرض الأديب فيما يريد من التأثير على السامع، فيقول عنه: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبن »[3].

وكأن عبد القاهر هنا يتحدث عما يسمّيه المحدثون "بالطاقة التخييلية" التي يولدها الحذف في نفس المتلقي.

ومما لا شك فيه أن الحذف يؤدي وظيفة أساسية في النسق التعبيري، تعمل على اتساع الدلالة وتكثيفها، بحيث تصبح الكلمات القليلة الظاهرة حاملة لمعاني كثيرة، وهذه المعاني بالضرورة ليست ما تحمله الألفاظ في الظاهر فقط وإنما ما تحيل إليه أيضا في باطن العبارة .

لذا رأى السّكاكي أن حذف بعض العناصر من الصياغة يحدث أثرًا في النّفس أشبه بالسّحر لما يقوم به من تكثيف الدلالة وتعميقها في نفس المتلقي، فيقول: «وأما الحالة المقتضية لترك مفعوله فهو القصد إلى التعميم والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار، وأنه أحد أنواع سحر الكلام حيث يتوصل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى ».[4]

---

[1] – ينظر: الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق:محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط4، ص 52.

[2] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت–لبنان– ط5(1401هـ–1980م)، ج1، ص251.

[3] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

[4] – السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه :نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط2(1407هـ–1987م)، ص 228.

وإذا كان النّحاة واللّغويون قد حرصوا على تحقيق الصورة المثالية للجملة النحوية في مستواها العادي وهو المستوى الذي يعنيهم الاشتغال به ورعايته، فإن البلاغين وهم المعنيون باللّغة الفنّية قد حرصوا على ما تقدمه هذه الجمل النّحوية من دلالات ومعان وطريقة تقديمها لتلك الدلالات، فيجدون أنفسهم في كثير من الأحيان مضطرين إلى التعامل مع أصل النظام النحوي للجملة، لتحديد مواضع الحذف أو النقص في العبارة، وهذا يدفعهم إلى مقارنة البنية السطحية [*(1)] للجملة ببنيتها العميقة [*(2)] الراسخة في العرف اللغوي أو النحوي، والتي تقف بإزائها بالضرورة.

ومعنى ذلك أن معيار الخطاب أو الكلام عند البلاغيين ومقياسه يتحدد في فهم المعنى وتأديته على أحسن صورة، فمتى كان واضحا غير مُلْبس فإن الكلام يصبح مقبولا سواء أكان هناك نقص في العبارة أم زيادة، فتحقيق الإفادة والابتعاد عن الالتباس والغموض هو أهم أدواتهم في الكشف عن قبول العبارة أو رفضها .

وعليه فالحذف ظاهرة لغوية عامة، وملمح أسلوبي متميز يزيد في إثراء الحقل الدلالي وتوظيف الطاقات الجمالية التي يختزلها وراء التراكيب، فحذف أحد عناصر الكلام يدفع بلا شكّ المتلقي إلا تعقب موضع الحذف وإدراكه ذهنيا حتى يستقيم السياق النحوي والدلالي للصياغة، وهو بالتالي يجعل النّفس تتشوّق للبحث وراء الدافع الموجب لهذا النمط من التركيب، فيؤدي إلى إعمال الفكر وتنشيط العقل والخيال، وهذا يعمل على تثبيت المعنى وترسيخه في الذهن أكثر مما لو ذكر العنصر المحذوف نفسه فالترك « راجع إلى التخييل، لأن في تركه تعويلاً على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر »[(3)] .

وبالتالي فحذف بعض العناصر من الصياغة يثري الجانب الدلالي، ويوفر له المناخ الإيقاعي

---

[1] – البنية السطحية :هي البنية النهائية الظاهرية المستخدمة في سياق، بما هي سلسلة أفقية من الكلمات، ذات سمات صوتية أو كتابية، تحتوي على كل المكونات الفونولوجية اللازمة للتفسير الصوتي. (أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (1408هـ–1988م)،ص61) .

[2] – البنية العميقة: هي بنية مجردة مفترضة ينتجها الأساس، وتحتوي على كل العلاقات النحوية و الوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة واستعمالاتها الممكنة، وتتميز طبقة البنى العميقة بالخصائص الآتية:1–إنها البنى الأولى المولدة في قاعدة النحوعن طريق القواعد المركبة والقواعد المعجمية، 2–إنها المجال الوحيد للملء المعجمي، 3–إنها البنى التي تؤول دلاليا، 4–إنها البنى التي يمكن أن تحول بواسطة تحويلات إلى بنى سطحية سليمة البناء .(أحمد نحلة، المصدر نفسه، ص60 /عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1(1986م)، ص68.).

[3] – السكاكي، مفتاح العلوم، ص 176.

الذي ينمو فيه، وكأننا بالحذف نترك المعنى وحده يبرز للعيان بدون واسطة، مما يسموا بإعجاز الخطاب القرآني ومستواه الفنّي.

والحذف في الخطاب القرآني من أكثر الظواهر التعبيرية التصاقا بالقيم الصّوتية التي تحمل بعدًا إيقاعيًا غاية في الجمال، وخاصة إذا كان هذا الحذف يَنمُّ عن تناسق فنّي لموسيقى اللّغة التي تحققها الفواصل عند نهاية كل آية، وما يهمنا هنا هو الكشف عن الوظيفة الصّوتية والدلالية التي يتيحها الحذف في سياقات الفاصلة القرآنية، والتي تتعدد أغراضه فيها، فقد يكون الحذف الوارد فيها جملة، وقد يكون كلمة، وقد يكون حرفا من كلمة، فيكون بذلك على نوعين :

نوع يتصل بالصيغ ناتج عن الناحية الإعرابية أو الناحية الصرفية أو الصوتية، كحذف حروف العلة، وحذف التنوين، وغير ذلك كثير .

ونوع يتصل بالتراكيب، كحذف المبتدأ أو الخبر وحذف الفاعل أو المفعول وحذف المضاف أو المضاف إلية وغير ذلك من التراكيب والصيغ .

ومن صور الحذف الواردة في القرآن الكريم التي يمكن عدُّها مرتبطة بالفواصل ما يأتي:

1)- حذف المفعول به:

وهو أكثر ألوان الحذف الواقعة في الجملة النّحوية، ولو حاول إنسان أن يأتي بجميع ما في التنزيل من حذف المفعول به لتوالت عليه الفتوق، و لم يستطع القيام به لكثرته، ويقرن ذلك بمن يستقي من بئر زمزم فيغلبه[1]

وذكر ابن جني أن حذفه كثير ولا يركبه إلا من قوي طبعه، وأن حذفه أقوى دليل على عربية الناطق.[2]

وحذف المفعول به يكون على ضربين:

أحدهما: أن يحذف وهو مقصود، فيكون سقوطه لضرب من التخفيف، وهو في حكم المنطوق به. **والآخر**: أن تحذفه معرضا عنه البتة لأن الغرض هو الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل، فيصير من

[1] – الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق:عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت (1424هـ-2004م)،ج2،ص 405، 406.
[2] – ا بن جني، المحتسب، ج2، ص 420/ ج1، ص214.

قبيل الأفعال اللازمة.[1]

وفي بلاغة حذف المفعول به يقول عبد القاهر الجرجاني: « اعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين». [2]

وقد قام صاحب كتاب" التأويل النحوي في القرآن الكريم "باستقصاء شامل لما في التنزيل، فوجد حذف المفعول به يكثر كثرة مفرطة، وانتهى إلى أن المفعول به يحذف في مواضع يمكن أن يقاس عليها لكثرتها في أفصح كلام منها: إذا كان المصدر مضافا إلى فاعله، إذا كان عائد اسم موصول، إذا كان المراد التهويل والتخويف والاحتقار، إذا كان لرعاية الفاصلة....[3]

ورأى ابن هشام أن حذف المفعول به يكثر في الفواصل،[4]خصوصا حين تكون الفاصلة فعلا مضارعا مسندا إلى واو الجماعة، فمثلا الفعل "يعملون أو تعملون" يستعمل فاصلة وغير فاصلة، غير أنه بالمقارنة بين استعماله في الحالتين نجد أنه حين لا يقع فاصلة يندر حذف مفعوله، وحين يقع فاصلة يكثر حذف مفعوله. فاستعمال الصيغتين "تعملون ويعملون" في القرآن الكريم بلغ مئة وتسعا وأربعين موضعا (149)، منها تسع وعشرون (29) موضعا في غير الفاصلة، ومئة وعشرون (120) موضعا وقع فاصلة، والملاحظ أنه في المواضع التي وقع فيها الفعل في وسط الآية ذكر المفعول فيها صريحا إلا في خمسة (5) منها حذف المفعول به، « فالغالب إذن ذكر المفعول حين يكون الفعل غير فاصلة، وحذفه حين يكون فاصلة، وذلك لاحتواء هذه الصيغة على المدّ والترنّم بالنّون ».[5]

غير أن هناك موضعا واحدا وقع فيه الفعل "يعلمون" فاصلة ولم يحذف مفعوله، ولكن المفعول جاء في بداية الآية التالية مع الوقف على الفعل لإحداث الإيقاع، قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾[6].

---

[1] – ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج2، ص39.

[2] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 154.

[3] – عبد الفتاح الدجني، التأويل النحوي في القرآن، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1 (1404 هـ - 1984 م)، ج1، ص259.

[4] –ابن هشام، المغني، ص 592.

[5] - السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص130.

[6] – يس آية 26، 27.

وما قيل عن هذا الفعل يقال أيضا عن أفعال أخرى مثل: يفعلون، أو تفعلون أو يفقهـــون، أو تشهدون أو تركبون.

ومن المواضع التي حذف فيها المفعول به قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾[1]، فالسياق يقتضي أنهم يشهدون على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليـــه وسلم، وقد قدّر الفراء المحذوف: «" تشهدون أن محمدا بصفاته في كتابكم ».[2]

وقدّر مثل ذلك الزجاج.[3]

والفعل "تشهدون" كان فاصلة في الآية، فجاء حاملا للمعاني التي يمكن أن تـــدور في خلـــد السامعين وتقديرهم، وبذلك حقّق حذف الجملة بعد الفعل تشهدون، الواقعة مفعولا به، تناسبا مع نهايات الآيات السابقة واللاحقة للآية والمختومة بحرف النون المسبوقة بواو الجماعة.

ومن ذلك النوع من الحذف أيضا قوله تعالى:﴿ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾ [4].

والأصل في هذه الآية "يركبونه" فحذف المفعول به الهاء « لطول الاسم وأنه رأس آية ".[5]

وممّا حسُن في حذف المفعول به من بنية الجملة في سياق الفاصـــلة القرآنيـــة قولـــه تعـــالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [6].

حيث إن التعبير القرآني ذكر مفعول "ودّع" وآثر حذف مفعول "قلى"، والأصل في الجملـــة "قلاك"، واختلف العلماء في علّة هذا الحذف، فذهب الفراء إلى أنه « يريد وما قـــلاك، فألقيـــت الكاف، كما تقول: أعطيتك وأحسنت، ومعناه : أحسنت إليك فتكتفي بالكاف الأولى من إعـــادة الأخرى، ولأن رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك فيه » [7]

---

[1] – آل عمران آية 70.

[2] – الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 221.

[3] – الزجاج، معاني القرآن، ج1، ص 457

[4] – يس آية 42.

[5] – أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص 396.

[6] – الضحى آية 1، 2، 3.

[7] – معاني القرآن، الفراء، ج3، ص273، 274.

وكذلك ذهب الفخر الرازي إلى أنّ من وجوه حذف الكاف رعاية الفاصلة، قال: «حذفت الكاف اكتفاءً بالكاف الأولى في "ودعك"، ولأن رؤوس الآيات بالياء فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف» [1] .

في حين أرجعه الزمخشري إلى أنه اختصار لفظي لظهور المحذوف،[2] وكذلك أرجعه أبو حيان إلى الاختصار إذ يعلم أنه ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

أما الدكتورة عائشة عبد الرحمن فقد ذهبت إلى أنه لو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الملحظ اللفظي فحسب لما عدل التعبير عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [4]، وليس في السورة كلها "ثاء" فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق.

وترى أن : « حذف الكاف من "وما قلى" مع دلالة السياق عليها تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف، هي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس، بصريح القول: "وما قلاك"، لما في القلي من حسّ الطّرد والإبعاد وشدّة البغض، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحسّ اللّغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا من رجاء العودة وأمل اللقاء ».[5]

ثمّ تعلّل بعد ذلك سبب حذف كاف الخطاب في الفواصل التي بعدها "ترضى، آوى، هدى، أغنى"، بأنّ « السياق بعد ذلك أغنى عنها، ومتى أعطى السياق الدلالة المرادة مستغنيا عن الكاف فإن ذكرها يكون من الفضول والحشو المتره عنهما أعلى بيان ».[6]

ويرى صاحب كتاب "معاني النحو" أنّ :« لهذا الحذف غرضا بديعيا وسرًّا لطيفا علاوة على ما ذكروه، وهو أن الحذف ها هنا للإكرام والتعظيم، وذلك أنه تعالى لم يرد أن يواجهه بالقلي،

---

[1] – الرازي، التفسير الكبير، ج31، ص210.

[2] – الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 266.

[3] – أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص 481.

[4] – الضحى آية 9-10-11.

[5] – عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني في القرآن، ص 250.

[6] – عائشة عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص 250.

فيقول "وما قلاك" وإنما اكتفى بالمفعول السابق إكراما لرسول الله من أن يناله الفعل ونحو هذا يجري في كلامنا كأن يقول أحد لآخر بلغني عنك أنك شتمت وقلت وقلت، فيقول: لا والله ما شتمت ولا قلت، فحذف المفعول من الفعلين تعظيما له من أن يناله الفعل »[1]

وخلاصة القول في هذا الحذف أنه قد يجتمع أكثر من غرض، فحذف كاف الخطاب من الآيات قد أحدث إيقاعا في الفاصلة ولا ريب في ذلك، ولكن يضاف إلى ذلك نكتة بلاغية أخرى هي تحاشي خطابه صلى الله عليه وسلم في موقف الإيناس بصريح القول، فحذفت الكاف من " قلى"، والقلي أشد البغض ولذا لم يذكر الضمير مع لفظ القلي الدال على البغض إيناسا لمحمد صلى الله عليه وسلم، وإشعارا بأن القلي لا يمكن حدوثه لشخصه صلى الله عليه وسلم، ثمّ هناك القيمة الصوتية الإيقاعية في الفاصلة، وهي لا تتم بوجود الكاف في "قلى"[2] .

فاجتمع بذلك الغرض المعنوي واللفظي في آن واحد.

ومن ذلك أيضا حذف المفعولين المقدّرين في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾[3] والتقدير عند الفراء :"أضحك أهل الجنة، يدخلون الجنة، وأبكي أهل النار، يدخلون النار"[4]، وقد اقتضت الدلالة والسياق الاستغناء عن ذكر المفاعيل، الأمر الذي واءم الفاصلة مع ما سبقها وما يلحقها أيضا.

وقد يحذف المفعول كذلك لترك مجال للتخاطب، يتصور فيه ألوانا عديدة ممكنة في ذلك المقام كانت ستختصر بالذكر في لون واحد، ولذا يكون ترك الذكر أفصح من الذكر، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ [5]، فقد اكتفت الآية بالفعل و لم تتعده فاستغنت عن ذكر مفعولي "أعطى واتقى"، لأنّ السّياق الحالي والمقامي أغنى السامع عن ذكر هذه المحذوفات، فيشمل بذلك العطاء والتقوى كل ما يمكن دخوله تحت هذين المعنيين، من إعطاء المال أو الطعام أو كل عون

---

1 – فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان- ط1 (1428 هـ - 2007 م)، ج1، ص81.

2 – السيد خضر، أبحاث في النحو والدلالة، مكتبة الآداب القاهرة، ط1 (1430 هـ - 2009 م)، ج1، ص46.

3 – النجم آية 43 .

4 – الفراء، معاني القرآن،ج3، ص 101.

5 – الليل آية 5.

واتقاء الله تعالى أو اتقاء المحارم والشبهات وغيرها، ولو ذكر المفعول لاقتصر على لون واحد من العطاء أو التقوى .

ومع هذا كلّه تحقّق بحذف المفعول إيجاز وجمال وإيقاع في الفاصلة، لم يكن ليتحقق بذكر المفعول، ومن ثمة كان الحذف في بنية الجملة مجالا أوسع لمسايرة الفاصلة لما سبقها وما لحقها من فواصل.

ومن حذف المفعول به الواقع فاصلة حذف ضمير الجمع "هم" الواقع في قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [1]، فقد اقتضت الدلالة والسياق حذف الضمير " هم " الواقع مفعولا به للفعل "أنذر"، إذ التقدير "قم فأنذرهم" بهذه الأشياء، ثم حذف هذا للدلالة[2] ومن ثمة تتواءم الآية مع فواصل الآيات الأخرى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[3] ففي هذه الآية ذكر مفعول "النفع" و لم يذكر مفعول "الضّر "، على الرّغم من أن الفعل "يضر" متعدي، ولا شك أنه لو ذكر المفعول به لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآي الأخرى، ولكن هذا الحذف اقتضاه المعنى أيضا، «فقد ذكر مفعول النفع فقال ينفعونكم لأنهم يريدون النفع لأنفسهم، وأطلق الضر لسببين:

الأول: أن الإنسان لا يريد الضر لنفسه وإنما يريده لعدوه.

الثاني: أن الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضر.

فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضر موضع إطلاق ... فأنظر كيف أن الإطلاق في الضر اقتضاه المعنى علاوة على الفاصلة » [4].

فالملاحظ من كل ما سبق من حذف المفعول به أن القرآن يعنى بالانسجام والتناسق الصوتي عناية واضحة، لما لذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر في النفس فيعمد إلى حذف جزء من

---

[1] – المدثر آية 2.

[2] – النحاس، إعراب القرآن، ج5، ص 65.

[3] – الشعراء آية 72،73.

[4] – السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط2 (1422 هـ - 2002 م) ص219 .

الجملة من أجل المحافظة على تناسبها وتناسقها مع غيرها من الفواصل في السورة، وهذا الغـــرض لا يأتي مستقلا بنفسه لأن الأسلوب البياني في القرآن لا يقوم على أساس لفظي محض، وإنمـــا يكـــون الحذف فيه لأغراض معنوية تقويها الأغراض اللفظية دون أن تكون هي الأساس في التعبير عن المراد ولأن اللفظ في القرآن الكريم تابع للمعنى وليس المعنى فيه تابعا للفظ.

2)- حذف حرف من بنية الكلمة:

يكثر في الفواصل حذف الحرف الأخير من الكلمة ثم الوقف بالسكون على الحرف الأخـــير، وذلك لمراعاة الإيقاع في الفواصل، وحذف حرف من بنية الكلمة لأجل الفاصلة لـــيس مقـــصورا عليها، وإن كان يكثر فيها لأنه يغتفر في الأطراف مالا يغتفر في غيرها.

قال صاحب "الكتاب" في باب "ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات" ما يأتي : « وجميع مالا يحذف في الكلام، وما يختار فيه ألا يحذف في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عـــزّ وجـــلّ : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾[1]، ﴿مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾[2]،﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾[3]، ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾[4]» [5].

وأكثر الحروف تعرضا للحذف ياء المتكلم، ياء المنقوص، ياء الفعل غير المجزوم.

أ)- ياء المتكلم : ياء الإضافة عبارة عن ياء المتكلم « وهي ضمير يتصل بالاســـم والفعـــل والحرف فتكون مع الاسم مجرورة المحل، ومع الفعل منصوبته، ومع الحرف منصوبته ومجرورته بحسب عمل الحرف نحو: "نفسي، ذكري، فطري، ليحزنني، وإنّي، ولي » [6].

وياء المتكلم إذا أضيفت فإنها تستلزم أحكاما في ضبطها وضبط الحرف الأخير الذي قبلها من آخر المضاف، فينبغي كسر آخر المضاف وبناء ياء المتكلم على السكون أو الفتح إذا كان اسما مفردا صحيح الآخر، أو مفردا معتلا شبيها بالصحيح، أو جمع تكسير صحيح الآخر، أو جمع مؤنث سالم،

---

[1] - الفجر آية 4.

[2] - الكهف آية 64.

[3] - غافر آية 32.

[4] - الرعد آية 9.

[5] - سيبويه، الكتاب، ج4، ص 185.

[6] - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح :علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، ج2، ص 161.

أما إذا كان الاسم المضاف اسما مقصورا أو اسما منقوصا أو مثنى أو جمع مذكر سالم فإنه يجب تسكين آخر المضاف وبناء ياء المتكلم على الفتح فقط.[1]

وقد تقع ياء المتكلم فاصلة فتحذف ويعوض عنها بالكسرة ثم يوقف على الحرف الأخير الذي قبلها بالسكون، فلا تظهر الكسرة كذلك، قال الأخفش: « ومن العرب من يحذف هذه الياءات في الدعاء وغيره من كل شيء وذلك قبيح قليل إلا ما في رؤوس الآي، فإنه يحذف للوقف، كما تحذف العرب في أشعارها من القوافي... وذلك في رؤوس الآي كثير، نحو قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾[2] ﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾[3] »[4].

وشواهد هذا الحذف كثيرة نذكر منها ما يأتي:

1)- ما وقع في الأفعال:

قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾[5].

فقد حذفت الياء من الفعل "يكذبون، ويقتلون" وعوض عنها بكسرة، ولكن الوقف بالسكون على نون الوقاية أخفى حركة الكسرة، فختمت الآيتان بالنون الساكنة فحدث التوافق الإيقاعي مع الفواصل السابقة واللاحقة، وهو ما أشار إليه الطاهر بن عاشور بقوله : « وحذف ياء المتكلم من "يقتلون" للرعاية على الفاصلة»[6].

كما حذفت ياء المتكلم من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ

---

[1] – ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص175.

[2] – ص آية 8.

[3] – البقرة آية 41.

[4] – الأخفش، معاني القرآن، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين، عالم الكتب، ج1، ص 239، 240.

[5] – الشعراء آية 12، 13، 14.

[6] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص 108

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾[1] .

فقد حذفت ياءات المتكلم من "يهدين" و "يسقين "و"يشفين "و"يحيين" « أجل التخفيف ورعاية الفاصلة لأنها يوقف عليها، وفواصل هذه السورة كلها بالنون الساكنة ».[2]

فجاء الكلام على موالاة ووحدة في حرف الفاصلة، ونتج عن ذلك تناسق فنّي ساهم في إشاعة نغمة موسيقية في هذه الآيات، ممّا يؤذي بالقارئ إلى الاستماع لهذه الكلمات المختومة بالنون الساكنة المسبوقة بحرف المد قبلها فيساعد على الترنم بها عند القراءة .

ويعلّل النحاس هذا الحذف في رؤوس الآي قائلا : « لأن الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلّها ».[3]

وحذف الياء يساويها صوتيا بما سبقها وما تلاها من الفواصل وهي :"تعبدون، الأقدمون، الدين".

وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾[4] .

فالياء حذفت من "أكرمنِ" و"أهانن" رعاية للفاصلة، ومراعاة للمعنى كذلك، لما في النّون من الغنّة عند الوقف عليها، وهو ما يظهر من خلال الأداء في التلاوة، ويبدو أن هذا الأمر مطّرد في عدد من آيات القرآن في الفواصل المنتهية بياء المتكلم فالغالب فيها حذفها، وتعويضها بكسرة ثم الوقوف عليها بسكون على نون الوقاية، ممّا يؤدي إلى توافق الفواصل مع بعضها البعض، تاركة وراءها نغمًا موسيقيًا جميلًا.

2)- ما وقع في الأسماء:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾[5]. فالأصل في هذه الياءات إثبات الياء،

---

[1]- الشعراء آية 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81.

[2]- الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، ج18، ص 144.

[3]- النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص 184.

[4]- الفجر آية 15- 16.

[5]- ص آية 14.

وحذفت لأنها رأس آية والكسرة دالة عليها، قال الطاهر بن عاشور: « فحقّ عقـــاب أي :عقـــابي، فحذفت ياء المتكلم للرّعاية على الفاصلة وأبقيت الكسرة في حالة الوصل ».[1]

وكذلك في قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [2] . والأصل "عذابي" « وإضافة عذاب إلى يـــاء المتكلم لاختصاصه بالله، لأنه مقدر وقاضٍ به عليهم، ولوقوعه على حالة غير جارية على المعتـــاد إذ الشأن أن يستأصل الجيش القوي الجيش القليل، وحذفت ياء المتكلم تخفيفا للفاصلة، وأبقيت الكسرة دليلا عليها وهو حذف كثير في الفواصل والشعر » [3].

وكذلك حذفت الياء من كلمة "نذري" في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾.[4]

حيث حذفت ياء الإضافة وذلك لتتماشى مع حركة الفواصل مع النسق الذي سارت عليه في بقية الفواصل الأخرى، والمبنية كلها على حرف الراء، قال ابن عاشور: « وحذف ياء المتكلم مـــن "نذري"، وحذفها في الكلام في الوقف فصيح، وكثر في القرآن عند الفواصل » [5].

ب)– حذف ياء الاسم المنقوص:

الأسماء المعربة نوعان، نوع صحيح الآخر يعرب في أحواله الثلاثة بحركات ظاهرة على آخره، ونوع معتل الآخر، أي في آخره حرف علة الواو أو الياء أو الألف، كالاسم المنقوص الذي آخره ياء لازمة قبلها كسرة نحو "القاضي والداعي" تقول "جاء القاضيْ" و "مررت بالقاضيْ" بالـــسكون و "رأيت القاضيَ" بالتحريك، فالاسم المنقوص يرفع ويجر بحركة مقدرة على الياء، وينـــصب بفتحـــة ظاهرة على الياء، وقدّرت الضمة والكسرة للاستثقال، وظهرت الفتحة للخفة.[6]

وقد وقع الاسم المنقوص في أواخر الآيات القرآنية غير أنه في تلك المواضع قد يحذف حرف العلة

---

[1]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص 233.

[2]– ص آية8.

[3]– الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، ج23، ص 215

[4]–القمر آية 16، 30، 37، 39.

[5]– الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، ج27، ص 187.

[6]– ينظر: ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 66/ وعباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص 124.

من آخره في بعض القراءات، نحو قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾[1].

فقد حذفت الياء من الاسم المنقوص "المتعالِ" وأصله "المتعالي"، وهو بدل أو صفة للكبير المقدرة على الياء المحذوفة منع من ظهورها الثقل مرفوع بالضمة بمعنى المستعلي على كل شيء بقدرته، وحذفت الياء اختصارا، وقيل لأن الكلمة رأس آية، وقد وقف جمهور البصريين على "المتعال" بحذف الياء، ووقف ابن كثير بالياء.[2]

وقد ذكر سيبويه أنّ ما يختار حذفه من الياءات والواوات يحذف في الفواصل والقوافي، والإثبات أقيس والحذف عربي كثير.[3]

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴾[4]، فقد حذفت الياء من الاسم المنقوص "الوادي"، وفي كلمة الوادي لغتان:

أ)– أن يكون آخره دالا "الواد".

ب)– وأن يكون آخره ياء ساكنة بعد الدال "الوادي".

«وقد قرأ الجمهور بدون ياء، وقرأه ابن كثير ويعقوب بياء في آخره وصلا ووقفا، وقرأه ورش عن نافع بياء في الوصل وبدونها في الوقف، وهي قراءة مبنيّة على مراعاة الفواصل ».[5]

وعلّل صاحب كتاب "سر الفصاحة" سبب حذف الياء في هذا الموضع وغيره بأنه لرعاية الفاصلة فقال : « وحذفوا الياء من "يسري" و"الوادي" طلبا للموافقة في الفواصل ».[6]

وهو ما أنكرته عائشة عبد الرحمن ورأت أنه :« لا مجال للقول في هذه الآيات ونظائرها بحذف ياء المنقوص المضاف أو المعرف "بال" وآخر المضارع المرفوع المعتل بالواو أو الياء، لرعاية الفواصل ومشاركة لرؤوس الآيات ... أفلا يكون القائلون بالحذف لرعاية الفواصل قد تعجلوا بمثل

---

[1]- الرعد آية 9.

[2]- ينظر: بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ج5، ص 402.

[3]- ينظر:سيبويه، الكتاب، ج4،ص184-185.

[4]- الفجر آية 9.

[5]- ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، ص 320.

[6]-ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 165.

هذا القول في آيات الفجر ونظائرها، محتكمين إلى قواعد اللّغويين والنّحاة في المعتل الآخر والمنقوص حين ينبغي أن نعرض قواعدهم على ما يهدي إليه الاستقراء لكل مواضع الحذف والإثبات في الكتاب المحكم».[1]

ج)- حذف ياء الفعل غير المجزوم:

تنفرد الأفعال من بين أقسام الكلام بعلامات معينة في الحذف، فهناك جزم الفعل المضارع الناقص بعلامة حذف حرف العلة، وهناك نصب المضارع وجزمه بعلامة حذف النون إذا كان من الأفعال الخمسة وهناك أيضا بناء فعل الأمر بعلامة حذف حرف العلة إذا كان معتل الآخر وبناؤه بعلامة حذف النون إذا كان من الأفعال الخمسة.

وقد يحذف حرف من الفعل المضارع و لم يسبق بأي عامل من العوامل النحوية التي تؤثر فيه، من ذلك ما وقع في بعض الفواصل من حذف لحرف العلة في الفعل المضارع المعتل الآخر، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ [2]. فقد حذفت الياء من الفعل المضارع "يسري" على الرغم من أنه لم يسبق بحرف جزم، و« هذه الياء أصلية لرعاية الفاصلة ».[3]

ويحكى عن الأخفش أن المؤرّج السدوسي سأله عن حذف الياء من "يسر" فقال: لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة، ففعل، فقال له: « إنّ عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري، وإنما يسرى فيه نقص منه حرف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ [4] والأصل "بغية" فلما حول ونقل عن فاعل نقص منه حرف » [5].

وظل الفرّاء على علوّ كعبه في الصّناعة النّحوية ذا ذوق بياني سليم، وحسّ موسيقي صاف فقد قال في حذف الياء من " يسري " : « وقد قرأ القراء " يسري " بإثبات الياء و " يسر " بحذفها، وحذفها أحبّ إلي لمشاكلتها رؤوس الآيات، ولأن، العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها، أنشدني بعضهم:

---

[1]- عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني، ص 252.

[2]- الفجر آية 3.

[3]- عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، ص 28.

[4]- مريم آية 28.

[5]- الزركشي، البرهان، ج3، ص 107.

لَيْسَ تُخْفِي يَسَارَتِي قَدْرَ قَومِي*** وَلَقَدْ تُخْفِ شِيْمَتِي إِعْسَارِيْ.[1] [2]

وفي هذا البيت حذفت الياء من " تخفي " للسبب نفسه دون أن يلقي بالاً إلى الخروج على القواعد التي تلزمه بإثبات الياء، لأنه لم يتقدم الفعل ما يوجب الجزم بحذف حرف العلة.

وإلى الرأي نفسه ذهب ابن سنان الخفاجي حيث رأى أن حذفها وحذف ياء المنقوص من "بالواد" قصدا إلى تماثل الفواصل.[3]

وإلى ذلك ذهب أيضا الطاهر بن عاشور في تفسيره، إذ ذكر كل القراءات التي وردت فيها فيقول : « وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب " إذا يسري " بياء بعد الراء في الوصل على الأصل، وبحذفها في الوقف لرعي بقية الفواصل: "الفجر، عشر، الوتر، حجر" ففواصل القرآن كالأسجاع في النثر، والأسجاع تعامل معاملة القوافي، قال أبو علي: وليس إثبات الياء في الوقف بأحسن من الحذف وجميع مالا يحذف وما يختار فيه أن لا يحذف (نحو القاض بالألف واللام) يحذف إذا كان في قافية أو فاصلة فإن لم تكن فاصلة فالأحسن إثبات الياء، وقرأ الباقون بدون ياء وصلا ووقفا »[4].

وقد ردّت الدكتورة عائشة عبد الرحمن على الفرّاء في آية الفجر بقولها : « يكفي للرّد على من ذهبوا إلى حذف الياء من آيات الفجر لرعاية الفاصلة أن نلفت إلى أنّ القرآن الكريم لم يقتصر على حذفهما هنا في مقاطع الآيات، ليسلم لهم القول بأن الحذف قصدا إلى رعاية الفواصل وتماثل رؤوس الآيات، وإنما حذفت ياء المضارع المرفوع المعتل الآخر وواوه أيضا، وياء المنقوص مضافا ومعرفا بـ "ال"، في أواسط الجمل ودرج الكلام »[5].

ومضت الدكتورة تستشهد ببعض الآيات التي وقع فيها الحذف، وما استشهدت به بعضه يجوز الاستشهاد به وبعضه الآخر لا يجوز.

---

[1]- لم أقف على قائله، وقد ذكره الجوهري في معجمه الصّحاح، ولم ينسبه لأحد، ينظر الصّحاح، مادة (يَسَرَ)، مج 02، ص 859.

[2]- الفراء، معاني القرآن، ج3، ص 260.

[3]- ينظر: الخفاجي، سر الفصاحة، ص165.

[4]- ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، ص316.

[5]- عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص251.

فما يجوز الاستشهاد به قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾[2]، ومما لا يجوز قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ [3] و﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [4].

والاستشهاد بذلك لا يجوز لأن الحذف وقع للتخلص من التقاء الساكنين.

ولكنّ الدكتورة لا توافق على هذا التعليق قائلة: « وقد يسبق إلى الظن أن الياء والواو حذفتا فيها للتخلص من التقائهما ساكنتين، ساكن بعدهما، إلاّ أن نلفت إلى آيات هود والبقرة والقمر والحرف فيها غير متلو بحرف ساكن » [5].

ويبدو أن الأمر لا يستحق العناء من الدكتورة عائشة « وأن تحتشد له هذا الاحتشاد لأنه لا صلة له بالمعنى من قريب أو من بعيد، فإن حذف الياء أو الواو من الآيات التي استشهدت بها لا يؤثر في المعنى بشيء ومن ثم يسقط الاحتجاج بما تقول » .[6]

وخلاصة رأينا فيما سبق هو أننا نتفق مع ما ذهبت إليه الدكتورة على أن الفواصل القرآنية تابعة للمعاني وليس العكس، ولكننا نختلف معها في فهمها لمذهب الفرّاء لأنّ الرجل بريء مما نسبته إليه براءة الذئب من دم يوسف، فهو لم يقرر مطلقا أن القرآن قد يعدل عن نسق إلى آخر أو يؤثر لفظا على غيره قصدا إلى المشاكلة بين رؤوس الآيات فقط، والفرّاء لم يقل بتغليب الجانب اللفظي على الجانب المعنوي، كما شاءت الدكتورة أن تقول، ولكنه قال بأن الأسلوب القرآني قد يعدل عن تعبير لآخر لأجل المشاكلة الصوتية إذا لم يكن ذلك مخلاّ بالمعنى.

3)- حذف تمييز العدد:

التّمييز: التّبيين والتّفسير، « وهو رفع الإبهام في جملة أو مفرد بالنّص على أحد محتملاته، فمثاله

---

[1]- هود آية 105.

[2]- القمر آية 6.

[3]- القصص آية 30.

[4]- الصافات آية 163.

[5]- عائشة عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص 252.

[6]- محمود نحلة، لغة القرآن في جزء عمّ، دار النهضة العربية، بيروت، (1981م)، ص 378

في الجملة "طاب زيد نفسا" وفي التنزيل: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[1]، وفي المفرد "عندي عشرون درهما" »[2].

وقد ذكر ابن جنّي أن التّمييز يحذف إذا علم من الحال كقولنا : « عندي عشرون واشتريت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين، فإن لم يعلم المراد لزم التمييز، إذا قصد المتكلم الإبانة، وإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز وهذا يصلحه ويفسده غرض المتكلم »[3].

وهذا الكلام معناه أنّ حذف التمييز جائز لوروده في التنزيل، وقد بيّن النّحويون مواطن حذف التمييز وهي:[4]

1)- يحذف أحد التمييزين في الآية اكتفاء بالآخر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾[5]، قوله "من الفجر" في موضع التمييز لـــ" الخيط الأبيض " اكتفاء، لأن بيان أحد الخيطين بيان للثاني والتقدير: من الخيط الأسود من الليل، وقيل إن حذف تمييز الفضلة جائز.[6]

2)- إذا كان تمييز عدد: وهو أكثر هذه المواطن شيوعا واطرادا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾[7] أي وسبعة أيام وتلك عشرة أيام.[8]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾[9] وللعلماء في حذف التاء من قوله " وعشرا " أقوال:

---

[1]- مريم آية4.

[2]- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج2، ص 70.

[3]- ابن جني، الخصائص، ج2، ص 378 .

[4]- عبد الفتاح الحموز، التأويل النحوي في القرآن، ج1، ص 329

[5]- البقرة آية 187.

[6]- ينظر:أبو حيان، البحر المحيط ج2، ص 52/ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 379/العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص 155.

[7]- البقرة آية 196.

[8]- ينظر:أبو حيان، المصدر نفسه، ج2، ص 79

[9]- البقرة آية 234.

أ)- أن يكون المراد عشر ليال مع أيامها، وغلبت الليالي على الأيام قياسا على كلام العرب، وهو قول الزمخشري.[1]

ب)- أن يكون المراد عشر مدد، كل مدة فيها يوم وليلة، وهو قول المبرد.

ج)- أن يكون المعدود المحذوف مذكرا لأنه إذا حذف جاز فيه الوجهان، وهو اختيار أبي حيان.[2] وهو قول ظاهر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[3] أي تسعة عشر ملكا[4].

3)- إذا كان تمييز "كم": جاء في التنزيل حذف تمييز "كم"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾[5]. أي كم يوما لبثت.[6]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [7] أي كم يوما[8].

4)- إذا كان تمييزا لفاعل أفعال المدح أو الذم: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [9] ذكر الشهاب بأنه يجوز أن يكون التمييز محذوفا أي: نعم أجرا أجر العاملين، فجمع بين التمييز وفاعل (نعم الظاهر)، وفي المسألة مذاهب:

أ)- المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه والسيرافي وغيرهما.

ب) الإجازة، وهو مذهب أبي العباس المبرد وابن السراج وأبي علي الفارسي، وابن مالك وغيرهم.

1- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 372.

2- أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص223.

3- المدثر آية 30.

4- أبو حيان، المصدر نفسه، ج2، ص 375.

5- البقرة آية 259.

6- أبو حيان، المصدر نفسه، ج2، ص 292

7- الكهف آية 19.

8- ينظر:العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص 842.

9- العنكبوت آية 58.

ج)- الإجازة بقيد، وهو أنه يجوز حذفه إن أفاد ما لم يفده الفاعل نحو: نعم رجلا فارســا، وهو قول ابن عصفور.[1]

5)- إذا كان المميز أفعل التفضيل: من ذلك قولــه تعــالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [2] أي بل هم أضلّ سبيلا من الأنعام، وهو قول نــسبه أبــو حيــان إلى الزمخشري.[3]

ومن ذلك قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [4] أي أحسن الخالقين تقــديرا، فحــذف التمييز لدلالة الخالقين عليه.[5]

6)- إذا نابت صفته عنه: ومن ذلك قوله تعــالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ ﴾[6] وفي تمييز اثنتي عشرة أوجه.[7]

أمّا الموطن الذي ورد فيه حذف التّمييز في سياق الفاصلة فهو حذف تمييز العدد في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾[8].

ففي هذه الآية حذف تمييز العدد والتقدير: عليها تسعة عشر ملكا، بمعنى أن خزنة سقر تسعة عشر ملكا، وقد اختلف العلماء في تقدير المحذوف:

فقيل: إن عدد تسعة عشر: هم نقباء الملائكة الموكلين بجهنم.

1- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عالم الكتب، القاهرة (1421هـ-2001م)، ج5، ص 35.

2- الأعراف آية 179.

3- أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص 427.

4- المؤمنون آية 14.

5- القاضي شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، ضبط : عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1417هـ-1997م)، ج6، ص 564.

6- الأعراف آية 160.

7- ينظر: عبد الفتاح الحموز، التأويل النحوي في القرآن،ج1، ص 334.

8- المدثر آية 30.

وقيل: تسعة عشر صنفا من الملائكة، وقيل تسعة عشر صفا.[1]

وجاء في تفسير الرازي أن لأرباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها: « أحدها قول أهل الحكمة، إن سبب فساد النفس هو القوى الحيوانية والطبيعية، أما الحيوانية، فهي الخمس الظاهرة، والخمس الباطنة والشهوة والغضب، فمجموعها اثنتا عشر، وأما القوى الطبيعية فهي: الجاذبية والماسكة، والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة، فهذه سبعة، فتلك تسع عشرة، فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسع عشرة، كان عدد الزبانية كذلك ».[2]

والأرجح من هذه الأقوال ما جاء في البحر المحيط من قول أبي حيان: « التمييز محذوف والمتبادر إلى الذهن أنه ملك، ألا ترى أن العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد ملك حين سمعوا ذلك »[3].

والذي يعنينا هنا هو ما تركه هذا الحذف من نغمة موسيقية ناتجة عن تناسب فواصل السورة بعضها مع بعض، والملاحظ أن فواصل هذه السورة رائية وهي في موضع السورة " سقر، لا تذر، للبشر، تسعة عشر، للبشر "و « لذا حذف التمييز وهو " ملكا" لإيقاع الفاصلة أولاً، ثم إن في حذفه بلاغة جميلة وهي الإشعار بشيء من الإبهام في شأن هؤلاء الحراس والخزنة لتذهب النفس في تصور قوتهم كل مذهب »[4].

4- حذف متعلق أفعل التفضيل :

اسم التفضيل هو :« الصفة الدالة على المشاركة والزيادة نحو أفضل وأعلم وأكثر»[5]، فكل كلمة من هذه الكلمات المشتقة ونظائرها تسمى "أفعل التفضيل" ويكون اسما مشتقا على وزن أفعل ويدل في الأغلب على شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه، فالدعائم التي يقوم عليها اسم التفضيل ثلاث :

---

[1]- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص650/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تعليق :محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، (1428هـ-2007م)، ج19، ص 79/ الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج29،ص 312.

[2]- الرازي، تفسير الرازي،ج30،ص203.

[3]- أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص 523.

[4] - السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص 133.

[5] - ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تقديم:إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2(1430هـ-2009م)، ص264.

1 - صيغة: "أفعل" وهي اسم مشتق.

2 - شيئان يشتركان في معنى خاص.

3 - زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص.

والذي زاد يسمى: "مفضل"، والآخر يسمى: 'المفضل عليه'، أو: "المفضول". ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمرًا حميدًا، أو ذميمًا[1] .

«وقد سوّت العرب بين أفعل التفضيل وفعل التعجب فيما يصاغان منه، لما بينهما من التناسب، فما جاز صوغ التعجب منه جاز أفعل التفضيل منه، وما لا يجوز صوغ فعل التعجب منه لفقد بعض الشروط لا يجوز صوغ أفعل التفضيل منه»[2].

ولاسم التفضيل ثلاث حالات:

«**الحالة الأولى** : أن يكون مجردا من (ال) والإضافة، فيجب له حكمان :

أحدهما : أن يكون مفردا مذكرا دائما نحو: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ﴾[3].

والثاني: أن يؤتى بعده بمن جارة للمفضول وقد تحذفان نحو ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [4] وقد جاء الإثبات والحذف في: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [5] أي : منك وأكثر ما تحذف "من " إذا كان أفعل خبرا ويقل إذا كان حالا أو صفة .

الحالة الثانية : أن يكون معرّفا بـ "ال" فيجب له حكمان :

أحدهما: أن يكون مطابقا لموصوفه.

والثاني: ألا يؤتى معه بـ "من".

---

[1] - ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص293.

[2] -بدر الدين بن قاسم المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت –صيدا–، ط1(2005م)، ج2، ص77.

[3] - يوسف آية 8.

[4] - الأعلى آية 17.

[5] - الكهف آية 34.

الحالة الثالثة : أن يكون مضافا، فإن كانت إضافته إلى نكرة وجب إفراده وتذكيـــــره، وإن كانت إضافته إلى معرفة وجبت مطابقة المضاف إليه لصاحب أفعل التفضيل » [1].

وسبق أن ذكرنا أن أفعل التفضيل إذا جاء مفردا نكرة مذكرا وجب مجيء "من" الجارة بعده متبوعة بالمفضل عليه، وهي صورة قياسية، ولكن ثمة مواضع يحذف فيها الجار والمجرور لإرادة معـــنى التفضيل دون إشعار بوجود مفضل عليه، ومنه قولنا : الله أكبر، ذلك أن المفضل عليه ها هنا كل ما سوى الله تعالى، والأفضل حذفه للإشعار بطلاقة معنى التفضيل وعدم التقيد بمفضل عليه، وهذا المعنى من الحذف يقع في الفواصل ليحقق الأمرين معا، الإيقاع والدلالة .

ومنه قوله تعالى في سورة طه: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [2].

﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [3].

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [4].

﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [5].

ففي هذه المواضع حذف متعلق أفعل التفضيل، وحذفه هنا يفيد إطلاق المعنى في اسم التفضيل إلى ما يليق بعلم الله تعالى بكل شيء علنا أم أخفى من السّر، يقول أبو حيان : « ولما كان خطاب الناس لا يتأتى إلا بالجهر بالكلام، جاء الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسّر لأن علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر، أي إذا كان يعلم السّر فأحرى أن يعلم الجهر، والسّر مقابل للجهر، كما قال: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[6]، والظاهر أن «أخفى» أفعل تفضيل أي: وأخفى مـــن السّر»[7].

وقد ردّ الشنقيطي قول من قال إن "أخفى فعل ماض" بقوله : « وأخفى صيغة تفضيل كمـــا

---

[1] – ينظر، ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، ج3، ص246 إلى 254.

[2] – طه آية 7.

[3] – طه آية 73 .

[4] – طه آية 127.

[5] – طه131.

[6] – الأنعام آية 3.

[7] – أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص313.

بيّنا أي ويعلم ما هو أخفى من السّر، وقول من قال : إن "أخفى" فعل ماض، بمعنى أنه يعلم سرّ الخلق وأخفى عنهم ما يعلمه هو . كقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [1] ظاهر السقوط كما لا يخفى».[2]

أمّا في الموضعين الثاني والرابع ففيهما التفضيل المطلق في معنى البقاء لله تعالى ولرزقه سبحانه.[3]

وأما الموضع الثالث : « ففيه بيان شدة عذاب الآخرة وبقائه، وهو ما لا يقارن به شيء من عذاب الدنيا ولو كثر وطال »[4]، وورد في البحر : « أي أبقى منه لأنه دائم مستمر وعذاب الدنيا منقطع »[5].

ولذا تناسب حذف المتعلق في هذه الآيات كلها مع ما أحدثه من إيقاع جميل في فواصل السورة وذلك بما تنتجه الألف من نغم موسيقي ناتج عن مدّ الصوت بالألف المقصورة عند نهاية كل آية .

من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[6]، ففي هذه الآية حذفت "من" الجارة للمفضل عليه، وحسن حذفها كون المفضل عليه خبرا، فإنه إذا وقع غير خبر مثل كونه حالا أو صفة قلَّ الحذف، « ومعناه وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى بقاء، لأن الحياة الدنيا فانية، والآخرة باقية، لا تنفذ ولا تفنى»[7].

فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟و في إعراضهم عن النظر في دلائل حياة الآخرة قد أعرضوا عما هو خير وأبقى « وأبقى :

---

[1] – طه آية 110.

[2] – محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، دار الحديث، القاهرة، ج4، ص284.

[3] – أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص360، ص400 / الشنقيطي، مصدر سابق، ج4، ص333 / ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص177.

[4] – ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص177.

[5] – أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص395.

[6] – الأعلى آية17.

[7] – الطبري، جامع البيان، دار ابن حزم، ط1، (1423 هـ – 2002م)، ج30، ص197.

اسم تفضيل أي أطول بقاء »[1].

وحذف متعلق أفعل التفضيل في هذه الآية ساهم في إشاعة نغمة موسيقية ناتجة مـــن نهايـــة الفواصل فتناسبت بذلك الآية مع ما سبقتها وما لحقها من الآيات والمختومة كلها بحـــرف الألـــف الذي يساعد على الترنم في القراءة .

«فالحذف إذن طاقة أسلوبية فاعلية يلتقي فيها المذكور بالمحذوف، وإذا كـــان المذكور يتمتع بوجود مادي ماثل في اللّغة فإن المحذوف يحظى بمرونة أكبر، تجعله أكثر انفتاحا على المتلقي، وأكثر قدرة على جذبه إلى أفق النّص، وهـــذا الاقتضاء يمنح دلالة النّص بعدًا ناميًا يتجدد بتجدد القـــراء، ويتنوع بتنوع تقديراتهم، وهذا يخلق عالما من التقدير يقوم على العالم المذكور »[2].

[1] – ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، ص257.

[2] – محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1(1430هـــ_2009م)، ص194.

الفـــصل الثاني:

أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرتي الزيادة والتّضمين.

المبحث الأول: أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرة الزيادة.

المبحث الثاني: أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرة التضمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل : أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرة الزيادة:

الزيادة أحد أشكال العدول عن الأصل في اللغة العربية، فقد تدخل على النّمط التركيبي الأساسي أو على الجملة عناصر لغوية غير أساسية أو فرعية يمكن أن يستغني عنها التركيب، ويظل صحيحا نحويا ودلاليا وهذه العناصر هي ما يسميها النحويون الألفاظ الزائدة، ومن ثمة تكون الزيادة انزياحا يقابل الحذف، وهدفها كسر النمط المثالي لقاعدة اللغة من أجل خلق الأثر الجمالي والأسلوبي.

ويختلف مصطلح الزيادة عند العلماء، فهناك الزيادة التي يتحدث عنها علماء الصرف ويعنون بها الزيادات التي تكون في بنية الكلمة، وتجمع حروفها في "سألتمونيها" كزيادة السين والتاء في الأفعال مثل "استنصر"، أو في الأسماء مثل "مستنصر"، وهناك الزيادة التي يتكلم عنها النحويون ويعنون بها زيادة حروف المعاني، وهي بهذا الاسم عند البصريين، أمّا الكوفيون فيسمونها "حروف الصلة والحشو".[1]

وغاية ما يمكن استخلاصه من تعريف الزائد قديما وحديثا أن معنى الزائد هو:« الذي يمكن الاستغناء عنه في الغالب، فلا يتأثر المعنى بحذفه، وربما لا يستغنى عنه، فيكون معنى زيادته هو: تركه مهملا لا يؤثر في غيره ولا يتأثر بغيره، سواء كان في أصله مهملا مثل: "لا" النافية الزائدة، أم كان في أصله عاملا، مثل: "كان" الزائدة ».[2]

وظاهرة الزيادة لا تقتصر على نوع من الكلمات دون غيرها وإن كان ورودها يكثر ويشيع في قسم أكثر من غيره، قال ابن هشام : « القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم »[3].

ومن ورودها مع الأسماء نحو زيادة ضمير الفصل بين المبتدأ و الخبر في قولهم "زيد هو المجتهد "، فـ"هو" ضمير فصل زائد.

وقد ترد الزيادة أيضا في الأفعال، ولا يزاد من الأفعال إلا ما كان دخوله كخروجه في

---

[1] – ينظر : ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص128 ./ الزركشي، البرهان، ج3، ص72.

[2] – عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص66.

[3] – ابن هشام، مغني اللبيب، محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(1411هـ-1991م)، ج1، 203.

التركيب، فلا يضيف معنى جديدا، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾.[1]

فقد استدل على زيادة "ما" بإعمال الباء الجارة في نقضهم" ولو كان لـ "ما" موضع من الإعراب ما عملت الباء هذا العمل، كما تزاد الجمل في نحو قولهم "زيد ظننت منطلق" وإنما دفعت منطلق لكونها خبرا للمبتدأ "زيد" وأقحمت الجملة "ظننت" فألغيت عن العمل، فإذا تقدم الكلام "ما" جاز إلغاء عملها.[2]

فهذه الجملة بنيتها كما يأتي :

البنية السطحية : زيد ظننت منطلق .

مبتدأ فعل+فاعل خبر

البنية العميقة : زيد منطلق .

مبتدأ خبر

والشكلان يدلان على أن البنية السطحية "زيد ظننت منطلق" هي التي تنتج من البنية العميقة "زيد منطلق"، وهما لهما الموقع الإعرابي نفسه، والجملة "ظننت" لها وظيفة دلالية فربما تعني الشك في انطلاق زيد.

وعلى الرغم من أنّ الزيادة واردة في جميع أقسام الكلم، فإنّها أكثر ورودًا في الحروف والضمائر، وللوصول إلى معاني هذه الحروف لابدّ من تأويلها ليست مستقلة أو منفردة وإنما من خلال مراعاة سياقها، ومع هذا يمكننا أن نحدد لها فوائد ثلاثا ذكرها القدماء في معرض حديثهم عنها نصًّا وإشارةً :

الفائدة الأولى: فائدة معنوية على مستوى الجملة النواة، تتمثل في تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فقد اتّفق النّحاة والمفسرون على « أن الزائد يؤكد معنى جيء به لتوكيده »[3].فيكون غرضها الأساسي هو التوكيد، قال ابن جنّي: « وأمّا زيادتها فلإرادة التوكيد بها، وذلك أنه سبق أن الغرض في استعمالها إنما هو الايجاز و الاختصار، والاكتفاء من الأفعال وفاعليها، فإذا

[1] – النساء آية 155.

[2] – نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء الإسكندرية، ص193.

[3] – ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص33.

زيد ما هذه سبيله فهو تناهٍ في التوكيد به ».[1]

وقال الرّضي مؤكّدا هذا المعنى وموضحا الفائدة المحصلة من زيادتها : « فائدة زيادة الحرف الزائد في كلام العرب: إما معنوية وإما لفظية، فالمعنوية تأكيد المعنى كما تقدم في (مِنْ) الاستغراقية، والباء في خبر(ما) و (ليس)، فإن قيل : فيجب ألا تكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية، قيل إنما سميت زائدة، لأنه لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئا، لما لم تغاير فائدتها العارضة : الفائدة الحاصلة قبلها »[2].

فهذه الحروف الزائدة لا تدل على المعنى الذي قصد بزيادتها له إلا بسبك ما انضم إليها معها حتى صارت كالجزء منه، قال ابن يعيش : « وأما الحروف الزائدة فإنها وإن لم تفد معنى زائدا فإنها تفيد فضل تأكيد وبيان بسبب تكثير اللفظ بها، وقوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى، وهذا معنى لا يتحصل إلا مع كلام »[3].

فالزيادة بشكل عام تؤدي دورا مهما في بناء الكلام على التأكيد « كما تؤكد وعي القدماء بمبدأ الاختيار الأسلوبي وإقرارهم بأهمية العدول وقدرته على شحن النّص بالكثير من الدلالات وتنبيه المتلقي لها»[4].

الفائدة الثانية : فائدة دلالية على مستوى السياق تتمثل في كونها : « أداة للتعبير عن انفعال معين يشير إليه السياق، كما أنها دليل على حيوية النشاط الذهني في الأداء اللغوي »[5].

وقال ابن قتيبة : « ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرَّده الله تعالى في القرآن، و لم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارةً للتوكيد، وحذف تارةً للإيجاز، وكرَّر تارةً للإفهام »[6].

---

[1] – ابن جني، الخصائص، ج2، ص284.

[2] – الرضي الاسترابادي، شرح الكافية، تحقيق :محمد نور الحسين، دار الكتب العلمية، بيروت،(1402هـ-1982م)، ج4، ص432.

[3] – ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص4.

[4] – محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب، ص164.

[5] – بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص35، نقلا عن كتاب حروف المعاني الزائدة ودلالتها، سمية طارق خضر، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط1، (1427هـ-2007م)، ص35.

[6] – أبو محمد بن قتيبة، أدب الكاتب، شرح وتقديم :علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4(2009م)، ص15-16.

وقد يقتضي المقام : « العدول عن السياق النّحوي السليم فيزيد حرفا على أصل المعنى من أجل مراعاة الوقف، والذي يحدد هذا الاختيار المتميز هو السياق نفسه، وهو نفسه الذي يحدد المعنى المقصود »[1].

وعليه فالخروج بهذه الحروف عن مألوف الاستعمال ومطّرد القواعد جاء استجابة لحالة من الحالات الوجدانية وتلبية لداعٍ من دواعي النفس، « وهو يشير في الغالب إلى أن المقام مقام جحد وإنكار»[2].

فكل حرف من هذه الحروف يمدّ المقصد ويكمّله في السّياق، ويأخذ محله الملائم له في بناء الكلام وتراكيب الجمل التي تعطي كل منها انطباعا خاصا في ذهن المخاطب، بحيث لو أسقط حرف من هذا البناء لاختلفت الصورة في ذهن المتلقي وتغير المعنى الذي طلبه وقصد إليه المخاطب « فإذا عرفت أنه ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظه في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل »[3].

ومن هذا يتضح لنا أن هذه الحروف جزء لا يتجزأ من النّص أو السّياق الذي وردت فيه والذي ترتبط مكوناته ببعضها البعض .

الفائدة الثالثة : فائدة لفظية وهي :« تزين اللفظ، وكونه بزيادته أفصح، أو كون الكلمة أو الكلام بسببها مهيّأ لاستقامة وزن الشعر أو لحُسْن السجع أو غير ذلك»[4].

فثمة تركيبات نظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق : « وإنما تفيد وظيفة تركيبية وقد تعدّ لونا من ألوان الزخارف »[5]، فقد تكون هذه الإضافة بالحرف أو بغيره معادلا يضبط الآيات أو يوازن فواصلها.

وانطلاقا من هذا نجد أننا عندما نمعن النظر فيما أسموه بالحرف الزائد أو حرف الصلة نجد

---

[1] – سمية طارق خضر، حروف المعاني الزائدة ودلالتها، ص36.

[2] – عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني، ص176.

[3] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص50.

[4] – الرضي الاسترابادي، شرح الكافية، ج2، ص384 /جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق :عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج1، ص456.

[5] – عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت (1407هـ - 1986م)، ص152.

أننا لا نتردد أي تردد، ولا نرتاب أي ارتياب بأنه لم يكن للتأكيد فحسب و لم يكن ليجمّل به الإيقاع فقط، وهو ليس ظاهرة أسلوبية ذا فائدة دلالية على مستوى السياق وحده، بل هو مجموع هذا كلّه فالحرف الزائد : « أمر اقتضاه المعنى، وحتّمته الحكمة البيانية، والحكمة العقلية كذلك، فلو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى، فهي بحق برهان ساطع على إعجاز هذا الكتاب بل هي من أهم روافد هذا الإعجاز»[1].

ولابدّ لمن يتحدث عن إعجاز القرآن بعامة، والبيان بخاصة أن يعرض لهذه القضية التي عالجتها أفكار العلماء قديما وحديثا، بل شغلت حيزا لا بأس به من مقولاتهم ومدوناتهم، فكانت بذلك قضية الزوائد مثار جدل كبير، فقد ذكر الزركشي أنه « قد اختلف في وقوع الزائد في القرآن الكريم، فمنهم من أنكره، قال الطرطوسي في "العمدة" زعم المبرد وثعلب ألاّ صلة في القرآن، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره فذكر كثيرا، وقال ابن الخباز في التوجيه، وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد لأنه تكلّم بغير فائدة وما جاء منه حمله على التوكيد »[2].

وعليه فقد اختلف العلماء في ورود الزائد في القرآن الكريم على النّحو الآتي :

الأول : ذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد في القرآن، فهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ) من البصريين في كتابه "مجاز القرآن"[3]، ومعاصره الفرّاء من الكوفيين في كتابه "معاني القرآن"[4] – و هما من أوائل الكتب التي وصلت إلينا– ينقل كلّ منهما القول بالزيادة في كثير من كلمات القرآن، و تأثر بهما ابن قتيبة حيث عقد في كتابه "تأويل مشكل القرآن" [5] بابا تحدث فيه عن التكرار و الزيادة.

ويمكننا أن نأخذ أي كتاب من كتب النّحو و سنجد القول بزيادة كثير من الحروف

---

[1] – فضل حسن عباس، لطائف المنان في نفي الزيادة والحذف من القرآن، دار النفائس، الأردن، ط3، (1430هـ – 2010م)،ص53.

[2] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص72.

[3] – أبوعبيدة، مجاز القرآن، ج1،ص19.

[4] – الفراء، معاني القرآن، ج1، ص238.

[5] – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2(1393هـ-1973م)، ص243.

والكلمات مبثوثا في ثنايا هذه الكتب، مثل "شرح الكافية" [1] للرضي، و"شرح المفصل" لابن يعيش [2]، و "إعراب القرآن" للزجاج [3]، و غيرهم من المتقدمين .

الثاني : ذهب البعض الآخر إلى إنكار زيادتها، وقد ظهر ذلك في قول المبرّد في "من الزائدة": «وأما قولهم إنها تكون زائدة فلست أرى هذا كما قالوا، وذاك أن كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى فإنما حدثت لذلك المعنى، وليست بزائدة »[4].

وقول ابن مضاء القرطبي : « وممّا يدل على أنه حرام، الإجماع على أنه لا يزاد في القرآن لفظ غير المجمع على إثباته، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ، بل هي أحرى لأن المعاني هي المقصودة والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها»[5].

كما نجد الأمر عند كثير من المفسرين مثل الطبري[6]، الرازي[7]، من الأقدمين والشيخ محمد عبده[8]، وعبد الله دراز[9] من المحدثين.

على أنّ التدقيق في أقوال الذين نسب إليهم إنكار وقوع الزائد في القرآن يوضح لنا « أن هؤلاء عندما أنكروا الزيادة كانوا في معرض الحديث عن معنى الحرف الزائد في السياق الذي ورد فيه، وهم في هذا لا يلتفتون إلى الشكل الخارجي أو قواعد النحو المجردة، وإنما ينظرون إلى ما تؤديه العبارة من معنى وهذا من اختصاص علم المعاني في البلاغة، فإذا عرفنا هذا بان لنا أن لكل قول مقامه الذي قيل فيه، ولا تعارض بين إثبات الزيادة ونفيها عند الشخص الواحد كما ظنّ البعض»[10].

---

[1] – الرضي الإستراباذي، شرح الكافية، ج2، ص327.

[2] – ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص133.

[3] – الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص131.

[4] – أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق:عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص45.

[5] – ابن مضاء، الرّد على النحاة، ص 92-93.

[6] – الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج1، ص35.

[7] – الرازي، التفسير الكبير، ج9، ص64.

[8] – محمد عبده، تفسير المنار، تعليق : سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1(1431هـ-2010م)، ج1، ص379.

[9] – محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم للنشر، الكويت،ط7(1413هـ-1993م)، ص130 وما بعدها.

[10] – سمية طارق خضر، حروف المعاني الزائدة ودلالتها، ص42.

قال الزجاج : «هذا باب ما جاء في التنزيل من الحروف الزائدة في تقدير وهي غير زائدة في تقدير آخر»[1].

فالذين نفوا الزيادة في القرآن كانوا يقصدون الزيادة المعنوية، ولم يتطرقوا في ذلك إلى موقعها الإعرابي من الجملة التي وردت فيها، فإن كان بعضهم لا يرضى بالقول بوقوع الزائد في القرآن الكريم فإن الخلاف عندئذ يكون في الاصطلاح، ومعلوم أنه لا مشاحة في الاصطلاح .

وعليه نقول إن المقصود بالزيادة في القرآن الكريم هي الزيادة النّحوية التي تحدّث عنها النّحويون والتي عرّفوها بقولهم : «إن الحرف الزائد هو الذي دخوله كخروجه لا يضيف معنى» فالقول بالزيادة إذن ينسب إلى النحو ولا ينسب إلى القرآن، وذلك أن الزائد إنما هو زائد على أصل النّمط أي على أصل وضع الجملة .

ولا يعني القول بالزيادة أن في القرآن حشوا – معاذ الله – وإنما يعني أن النحاة حددوا لكل جملة أركانها ومكملاتها القياسية، بحيث يتم المعنى الوظيفي للجملة بوجود هذه العناصر ... وإذا كان النّحاة مسؤولين عن وصف هذه العناصر بالزيادة فإن البلاغيين يعترفون بما تضفيه هذه العناصر إلى المعنى، فهم الذين يقولون «كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى»[2].

فالزيادة بشكل عام تؤدي دورًا مهمًّا في بناء الكلام على التأكيد، وما دمنا نعترف بأنّ النّص القرآني يشمل على تأكيد للمعنى فإن الزيادة إحدى وسائل التوكيد، ومن هذه الزاوية يجب أن ندخل إلى هذه القضية، وألا ننسب للقائلين بالزيادة إلى التزيد على النّص القرآني، لأن الزيادة نحوية لا قرآنية .

وعليه فالزيادة ثابتة في القرآن الكريم والحاجة إليها ماسة، « فالحاجة إلى الزائد كالحاجة إلى ما سواه سواء بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة، وأنه لو ترك كان الكلام دونه مع إفادته أصل المعنى المقصود أبتر خاليا من الرونق البليغ لا شبهة في ذلك »[3].

والزيادة في المواضع التي وردت فيها جاءت « لتحقيق دلالة معينة لا تتحقق بتركها، وحين نصف بعض الألفاظ بأنها زائدة فليست زيادتها هذه على نص القرآن، وإنما تنسب زيادتها

---

[1] – الزجاج، إعراب القرآن، ج2، ص667.

[2] – تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج2، ص113.

[3] – السيوطي، الإتقان، ج2، ص268.

إلى النحو الذي لابدّ من رعايته في تحليل النّص القرآني ... وإذا كان النّص القرآني فيه تأكيد المعنى، والزيادة إحدى وسائل التوكيد، فلا حرج إذن أن نقول بوجود ألفاظ زائدة في القرآن»[1].

ومن هذا المنطلق سندرس بعض الزوائد التي وردت في القرآن مقتصرين في ذلك على ما ورد في سياقات الفاصلة القرآنية .

1- زيادة هاء السّكت :

يعرّف ابن هشام هاء السّكت بأنها هي : « اللاحقة لبيان حركة أو حرف، نحو: ﴿ **مَا هِيَهْ**﴾[2]، ونحو: "هاهناه" و"وا زيداه" وأصلها أن يوقف عليها وربما وصلت بنية الوقف»[3].

وهي من حروف المعاني كما ذكر المرادي[4]، ويقول ابن يعيش : « هذه الهاء للسّكت تزاد لبيان الحركة زيادة مطّردة في نحو قولك : فيمه ولمه وعمّه، والمراد فيم ولم وعمّ »[5].

وحق هذه الهاء «أن تكون ساكنة لأنها موضوعة للوقف، والوقف إنما يكون على الساكن، وتحريكها لحن وخروج عن كلام العرب، لأنه لا يجوز إثبات هذه الهاء في الوصل، فتحرك بل إذا وصلت استغنيت عنها بما بعدها من الكلام »[6].

ويوضح الدكتور خالد إسماعيل علّة مجيئها في الكلام بأنه من أجل إشباع الحركة القصيرة فيقول: « وأما زيادة هاء السّكت في "ما" الاستفهامية فتصير "مه" وقلب التاء عند الوقف في نحو: "فاطمة"و "فاطمه" فهو إشباع للحركة القصيرة ».[7]

وقد وردت هذه الهاء في مواضع عديدة من القرآن نذكر منها ما ورد في سياق الفاصلة

---

[1] – مصطفى شعبان عبدالحميد، المناسبة في القرآن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (2007م)، ص324.

[2] – القارعة آية 10.

[3] – ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص331.

[4] – المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق :فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1413هـ-1992م)، ص153.

[5] – ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، ص151.

[6] – ابن يعيش، المصدر نفسه، ج9، ص153.

[7] – خالد إسماعيل، في اللسانيات العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط(2008)، ص173.

القرآنية، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

فأنت تلاحظ أن الفواصل "كتابيه، حسابيه، كتابيه، ماليه، سلطانيه" قد زيدت فيها هاء السّكت الملحقة بياء المتكلم رعاية لفواصل الآيات، وعناية بالبعد الصوتي، وعناية بنسق البيان في سرّ اعتداله، ليؤثر في النفس تأثيره الحساس، فتشرئبّ الأعناق، وتتطلع الأفئدة حين يتواصل النغم بالنغم، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع، ولو حذفت هذه الهاء لاختل ذلك النسق ولحدث خلل في إيقاعها، فهي في هذه الآيات تعدّ مثالاً للرّبط الفنّي بينها، إذ تحافظ على النّسق الذي تسير عليه تلك الآيات .

هذا إضافة إلى أن هذه الزيادة في المبنى قد زادت في المعنى « إذ تصور لنا من خلال ما تتصف به من خصائص صوتية ذلك الموقف الذي عليه كلا الفريقين، من أوتي كتابه بيمينه ومن أوتي كتابه بشماله، فالأول في حالة فرح شديد والثاني على خلافه في حالة حزن شديد وحسرة وندم، وكلا الانفعالين يعمل على تقطع النفس، فلا يكاد الإنسان وهو في هذه الحالة ينطق بجملة إلا ويعمل ذلك الانفعال على قطعها قبل أن يبدأ في أخرى، فكأنه ينتهي نفَسُه مع نهاية كل جملة، فجاءت تلك الهاء تصور ذلك الانفعال أبدع تصوير»[2].

إذن الفاصلة هنا تصور لنا مشهدين متضادين، مشهد الناجي الذي لا تسعه الدنيا فرحة وسعادة ومشهد الهالك الذي يئنّ حسرة في كلماته ونبراته وإيقاعاته، وهو يدلّ على أن هاء السّكت لها طواعية على تصوير إحساسين مختلفين، فيقف المرء حيالها خاشعا مبهورًا « وهذا التغير في حرف الفاصلة وفي نوع المدّ قبلها وفي الإيقاع كله ظاهرة ملحوظة تتّبع تغير السياق والمشاهد والجو وتتناسق مع الموضوع والصورة والظلال تمام التناسق، وتشارك في إحياء المشاهد وتقوية وقعها على الحس في الصورة القوية الإيقاع العميقة التأثير»[3].

---

[1] – الحاقة آية 19-29.

[2] – مصطفى شعبان، المناسبة في القرآن، ص384.

[3] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3676.

ثمّ يعلّل سيد قطب هذه الرّنة الحزينة بقوله : « والرّنة الحزينة الحسيرة المديدة في طرف الفاصلة الساكنة وفي ياء العلة قبلها بعد المدّ بالألف، في تحزّن وتحسّر هي جزء من ظلال الموقف الموحية بالحسرة والأسى إيحاءً عميقًا بليغًا»[1].

وجاء في تفسير التحرير والتنوير أن « الهاء في كتابيه ونظائرها للسّكت حين الوقف، وحقّ هذه الهاء أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل... ولأن هذه الكلمات وقعت فواصل، والفواصل مثل الأسجاع تعتبر بحالة الوقف مثل القوافي، فلو قيل: اقرأوا كتابي إنّي ظننت أنّي ملاقٍ حسابي، سقطت فاصلتان وذلك تفريط في محسّنين ... والقرّاء يستحبون أن يقف عليها القارئ ليوافق مشهور رسم المصحف ولئلا يذهب حسن السّجع ».[2]

وحق هاء السّكت أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، « فالوجه أن يوقف على هذه الهاءات و لا توصل لأنها أدخلت للوقف، و قد حذفها قوم في الوصل و لا أحب مخالفة المصحف، و لا أن أقرأ و أثبت الهاءات في الوصل، و هذه رؤوس آيات فالوجه أن يوقف عندها»[3].

وقد غاب وجه هذا الحسن وروعة هذه الهاء على بعض العلماء، فعابوها، فيروى أن رجلاً من أهل المدينة أنشد أبا عمرو بن العلاء قول ابن قيس الرّقيات:

إنّ الحَوادِثَ بِالمَدينَةِ قَد * أَوجَعنَني وَقَرَعنَ مَروَتَيه**[4]

فانتهره أبو عمرو وقال: ما لنا ولهذا الشعر الرخو؟ إن هذه الهاء لم تدخل في شيء من الكلام إلاّ أرْخَته، فقال له المديني: قاتلك اللّه؛ ما أجهلك بكلام العرب، قال اللّه تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ ﴾ [5] وقال: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ ﴾ .[6]

---

1 - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3682.

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص121.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص129.

4 - البيت من بحر الكامل لابن قيس الرقيات، ينظر : الديوان، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر – بيروت، ص 98.

5 - الحاقة آية 28-29.

6 - الحاقة آية 25-26.

فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً.[1]

فهاء السكت إذن تزاد في الفواصل للمحافظة على التجانس الصوتي في نهايات الفواصل القرآنية .

وما قيل عن زيادة الهاء في نهايات آيات سورة الحاقة يقال عن زيادة هاء السكت في سورة القارعة ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾.[2]

فقد زيدت الهاء في ضمير المؤنثة الغائبة "هي" لإحداث التّجانس الصّوتي والنّغمي في رؤوس الآي ولتتواءم مع ما قبلها وما بعدها، ولا يحدث ثمة نشاز أو انكسار في الجرس الموسيقي والإيقاعي للفواصل .

قال الطّاهر بن عاشور : «والهاء التي لحقت ياء "هي" هاء السّكت، وهي هاء تجلب لأجل تخفيف اللفظ عند الوقف عليه »[3].

وهذه الهاء عدّلت مقاطع الفواصل في هذه السورة : « وكان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في الفصاحة »[4]، ووقع لطيف في مجرى السمع لإيحائها الصوتي بالشعور بالندم في قول من فرط فيما ينبغي عليه أداؤه إزاء ربّه وأهله، وهذه الهاء إذا وقف عليها القارئ أشبهت الحسرة في انطلاقها في صدر المتحسّر لندمه واعترافه بذنوبه.

والهاء في هذه الآيات « تسهم في تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى في السمع، ومن ناحية أخرى تعدّ دليلا على أن ظاهرة الوقف في القرآن ليست ناشئة عن تدخل المتلقي في إنتاج جمالية النّص، وإنما هي خاصية أصلية في بناء الخطاب القرآني »[5].

وعليه نقول إن زيادة هاء السّكت في نهاية فواصل السورة السابقة جاءت للمحافظة على التنغيم الموسيقي، فزادت في تكامل المعنى وتأكيده، كما أحدثت في الفواصل التناسب المقطعي

---

[1] – عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، ص24.

[2] –القارعة آية 10.

[3] – ابن عاشور ن التحرير والتنوير، ج1، ص453.

[4] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص61.

[5] – رزيقة طاوطاو، البنية الحوارية في الخطاب القرآني، جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (1431هـ – 2010م)، ص208.

والتجانس الصّوتي.

2-زيادة الألف (ألف الإطلاق) :

عرّف الفاكهي حرف الإطلاق: « بأنه حرف مدّ يتولد من إشباع حركة الرّوي، وظاهره أنّ حرف الإطلاق مختص بقوافي الشعر» [1].

وهذه الألفات أطلق عليها ابن هشام "ألف الإطلاق"[2]، وسمّاها الجوهري فيما نقل عنه ابن منظور ألف الصّلة، قال: « وهي ألف توصل بها فتحة القافية ... وتسمى ألف الفاصلة ... ولها أخوات في فواصل الآيات ... والفرق بين ألف الصّلة وألف الوصل أن ألف الوصل إنما اجتلبت في أوائل الأسماء والأفعال، وألف الصّلة في أواخر الأسماء »[3].

«وممّا مثّل به النّحاة لهذه الألفات يفهم أنها تدخل في قوافي الأشعار، وكذا في رؤوس الآي، كقول الشاعر:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِك فَاصْبِحِيْنَا * وَلاَ تُبْقِي خُمُوْرَ الأَنْدَرِيْنَا**[4]

لما أشبع الفتحة زاد فيها ألفًا أطلقها إليه».[5]

وزيادة حرف الألف في نهاية الآيات واردة لعناية البعد الصوتي، حيث ألحقت الألف في عدد من الآيات بأواخر بعض كلماتها، وكان حقها الفتح مطلقًا دون مدّ الفتحة حتى تكون ألفا.

وبقراءة سورة الأحزاب تبرز لنا هذه الظاهرة في ثلاثة مواطن، وكأن ذلك مقصود في حدّ ذاته، يقول تعالى في وصف حال المسلمين في غزوة الأحزاب: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ

---

[1] – الفاكهي، شرح الحدود النحوية، تحقيق :محمد الطيب إبراهيم، دار النفائس، بيروت، (1996م)، ص206.

[2] – ابن هشام، المغني، ج2، ص428.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، باب "الألف"، ج15، ص 428.

[4] – البيت من بحر الوافر، لعمرو بن كلثوم الثعلبي، وهو من أول معلقاته الشهيرة / الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ط(1431هـ-2010م)، ص377.

[5] – المرادي، حروف الهجاء، تحقيق : أشرف القصاص، دار ابن حزم (1431هـ - 2010م) . ج1، ص 430.

﴿ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾ [1].

فقد ألحقت الألف بـــ"الظنون" لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل"[2].

وبإلحاق ألف المد بكلمة "الظنون" قد جعلها متناسبة ومتناسقة مع ما قبلها " مـــسطورا، غليظا، أليما، بصيرا"، وما بعدها : "شديدا، غرورا، فرارا ... " .

ومثله في السورة نفسها قوله تعـــالى في عقـــاب الكفـــار: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا٠٠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا٠٠ ٦٧﴾. [3]

ففي هذه الآيات أيضا زيدت الألف في كلمتي "الرسولا" و "السبيلا" الواقعتين فاصـــلتين لتتناسب موسيقيا مع ما قبلها وما بعدها من الفواصل .

وجمهور المفسرين واللغويين على أن إثبات الألف في لفظ السبيل ونظائره جـــاء لرعايـــة الفواصل .

يقول أبو حيان : « وأما إثباتها في الوقف ففيه إتباع الرسم، وموافقته لـــبعض مـــذاهب العرب، لأنهم يثبتون هذه الألف في قوافي أشعارهم، وفي تـــصاريفها والفواصـــل في الكـــلام كالمصارع ».[4]

وقال الأخفش : « وأما قوله : « **"وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا"**، **"فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا"** فتثبت فيه الألف لأنهما رأس آية، لأن قوما من العرب يجعلون أواخر القوافي إذا سكتوا عليها على مثـــل حالها إذا وصلوها، وهم أهل الحجاز، وجميع العرب إذا ترنموا في القوافي، أثبتوا في أواخرهـــا الياء والواو والألف »[5].

---

[1] – الأحزاب آية 10-11.

[2] – الزركشي، البرهان، ج1، ص61.

[3] – الأحزاب آية 66-67.

[4] – أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص286.

[5] – الأخفش، معاني القرآن، ص241.

وكذلك قال الزمخشري في كشافه : «إنّ زيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف»[1].

وهو نفس ما ذهب إليه ابن عاشور : « وزيدت هذه الألف في النطق للرعاية على الفواصل في الوقوف، لأن الفواصل مثل الأسْجاع تعتبر موقوفاً عليها لأن المتكلم أرادها كذلك، فهذه السورة بنيت على فاصلة الألف مثل القصائد المقصورة »[2].

ولكن هناك من أنكر أن تكون الألف قد زيدت لتناسب رؤوس الآي، على أساس أن أمر الفاصلة غير مقصود لذاته في الآيات التي أثبت فيها ألف المدّ، على الرغم مما تشيعه في النّص القرآني من نسق إيقاعي مدهش، ودليلهم في ذلك أنه لو كانت الفاصلة مقصودة لذاتها لزيدت هذه الألف في كلمة "السبيل" من الآية الرابعة من سورة الأحزاب: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾.[3]

فكلمة "السبيل" أو "السبيلا" كل منهما رأس آية وثبت الألف بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك في الثاني دون الأول، فلو كان لتناسب رؤوس الآي لثبتت في الجميع .

ورأى أصحاب هذا الرأي أنه « لو كان أمر الفاصلة مقصودا لذاته لكانت كل سورة مبنية على فاصلة واحدة تنتظم آياتها من البداية إلى النهاية، ولكننا وجدنا أن كل سورة لها نظام إيقاعي خاص فبعضها يلتزم فاصلة واحدة وبعضها الآخر تتعدد فيه الفواصل، وكل ذلك يأتي مراعى فيه المعنى والسياق والجرس وجو السورة العام »[4].

ثم يعللون إثبات الألف في قوله : "السبيلا" بعظمة هذا السبيل، ذلك أن الكفار لما أكبروا هذا السبيل في نفوسهم رافق ذلك إكبار لها في اللفظ فأثبتوا الألف لذلك، وأما في قوله **و "هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ"**، فلم يحتج فيه إلى مثل تلك الزيادة فجاءت على الأصل، وما قيل عن "السبيلا"

---

[1] – الزمخشري، الكشاف، ج3، ص275.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21. ص207.

[3] – الأحزاب آية 4.

[4] – خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 (2006)، ص215.

يقال عن "الرسولا".[1]

وللسّامرائي لفتة خاصة في بيان موجب إثبات الألف في "السبيلا" وحذف الألف في "السبيل" يقول : « والفرق بينهما أن آيتي المد هما من قول أهل النار، وهم يصطرخون فيها ويمدون أصواتهم بالبكاء كما أخبر عنهم ربنا بقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾[2]، فالمقام هنا مقام صراخ ومدّ صوت فناسب المدّ، في حين أن الآية الأخرى ليست كذلك، وإنما هي قول الله مقرراً حقيقة عقلية معلومة، قال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[3] فالمقام لا يقتضي المدّ ههنا بخلاف ذلك»[4].

وانطلاقًا ممّا سبق نقول إن زيادة الألف في أواخر هذه الكلمات تحمل في طياتها نغمًا موسيقيًا تضفيه على النّص القرآني، وذلك بما تحققه من انسجام واتّساق في هذه الفواصل عن طريق نطقها متّصلة بألف المدّ، على أساس أنّ العرب إذا أرادوا أن يترنموا بالكلمات فإنهم يلحقون بها الألف والواو والياء، وهو ما يسمى في العربية بالوقف « عن طريق الإشباع الصوتي للصوت الصامت أو الصائت »[5]، فمن أهم وسائل الإشباع الصوتي في الوقف إشباع الفتحة القصيرة في القوافي من مثل قول جرير :

أَقِلّي اللّومَ عاذِلاً وَالعِتابا * وَقولي إِن أَصَبتُ لَقَد أَصابا.**[6]

وهذا نفسه ما ورد في رؤوس الآيات، يقول ابن جنّي : « فأمّا في النصب فلا خلاف بينهم أن الوقف إنما هو على الألف التي هي عوض من التنوين، فأما قوله تعالى:، ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[7] و﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾[8] ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[9] فإنما زيدت هذه الألفات في أواخر

---

[1] – ينظر خالد قاسم، المرجع نفسه، ص215.

[2] – فاطر آية37.

[3] – الأحزاب آية 4.

[4] – السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط 2(1422هـ-2001م)، ص38.

[5] – إسماعيل حسان، في اللسانيات العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، (2008)، ص172.

[6] – البيت من بحر الوافر، لجرير، ينظر الديوان بشرح محمد بن حبيب، ت: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف – القاهرة، ط: (03)، دت، ج: 03، ص 813.

[7] – الأحزاب آية 66.

[8] – الإنسان آية 15.

[9] – الأحزاب آية 10.

هذه الأسماء التي لا تنوين فيها لإشباع الفتحات وتشبيه رؤوس الآي بقوافي الأبيات ».[1]

كما لا يخفى علينا ما تحققه هذه الألفات الزائدة عن أصل الكلمات من غرض دلالي زائد على المعنى الأول، فهذه الألف لا تكمن فائدتها في مجرد الوقوف والدلالة على أنّ الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف فحسب، بل تكمن في الجمال الصوتي والتناسق الذي تحدثه في الآية إلى جانب المدّات الطويلة المتتابعة المنطلقة صاعدة في السماء، و تسهم إسهاماً كبيراً في الدّلالة المعنوية أيضاً.

فكل زيادة لها في نهايات الآيات إنّما تأتي وهو مراعى فيه المعنى والسياق والجرس الموسيقي معًا، دون إخلال بأحدها على حساب الآخر، فكل جانب منها هو مناط الإعجاز القرآني الذي أعجز العرب أن يأتوا بمثله ولو بأقصر سورة منه.

3- زيادة لعلّ :

إنّ من القضايا النحوية التي ترتبط بالجملة الاسمية، وكذا بالوحدة الإسنادية قضايا النواسخ التي تدخل على هذا التركيب الإسنادي، فتغيّر أحد ركنيه فتحدث فيه أثرًا في المعنى وشكل التركيب، وتسمّى هذه الكلمات التي تعدّ عوامل لفظية "نواسخ"، لأنّها تزيل حكم المبتدأ و الخبر وتغير إعرابهما.

و"لعلّ" أداة من الأدوات التي تستخدم في السّياق النّحوي لتؤدي معانٍ وظيفية معينة، قال ابن يعيش : « لعل هي لتوقع مرجو أو مخوف»[2].

وعليه تكون "لعل" لتوقع شيء محبوب أو مكروه فتوقع المحبوب ويسمى ترجيا وإطماعا، وتوقع المكروه ويسمى إشفاقا، فالترجي نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[3]، والمعنى على أن الله أمر بالعدل والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئ اليوم الذي لا ريب في حصوله، فلعلّ ها هنا للإشفاق.[4]

---

[1] – ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2، ص677

[2] – ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص599.

[3] – الشورى آية 17.

[4] – ينظر : ابن يعيش، المصدر نفسه، ج8،ص 599.

وقيل إنّها تأتي للتعليل، كما في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1]، جاء في المغني :« من لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء، ويصرفه للمخاطبين، أي اذهبا على رجائكما»[2].

وقيل أن "لعلّ" تأتي للاستفهام، جاء في شرح الرّضي على الكافية : « وقيل إن لعلّ تجيء للاستفهام، تقول : لعلّ زيد قائم، أي هل هو كذلك »[3].

وقيل تأتي للتشبيه[4] وهي كلمة شكّ ورجاء وطمع...[5]

والبصريون يرجعون كل هذه المعاني إلى التّرجي والإشفاق[6]، وهو الصحيح فإنّها للتّوقع مطلقا ويمكن إرجاع كل ما ذكر إلى هذا المعنى من ترجٍ أو إشفاق، قال سيبويه : « لعلّ وعسى طمع وإشفاق، وهي تنصب الاسم وترفع خبر كان إلا أنّ خبرها مشكوك فيه وخبر إنّ يقين»[7].

وقد تتكرر "لعلّ" في الجملة فتأتي الثانية زائدة، وذلك من أجل مراعاة نسق الفاصلة والتي تأتي في أغلب الأحيان بالنون لما يحظى به هذا الحرف من النصيب الأكبر في التراكيب النحوية في المثنى والجمع المذكر السالم والأفعال الخمسة، ومن خلال التحكم في بنية الجملة يمكن إثبات النون أو حذفها، فعند إرادة إثباتها يمتنع دخول عامل النصب أو الخفض الذي يؤدي إلى حذفها، يقول الدكتور السّيد خضر بعد أن أشار إلى أنّ أغلب الفواصل القرآنية تأتي بصورة الفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة بصيغة "تفعلون" و"يفعلون": « ولكي يتحقق الإيقاع بالمدّ والترنم ينبغي أن يبقى الفعل مرفوعا بثبوت النون، وحين يأتي الفعل في سياق كان حقّه فيه النصب كما اعتاد العرب استعماله تأتي في التركيب توطئة تمنع الفعل من النصب، ومن ذلك ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾[8]،﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ

---

[1] – طه آية 44.
[2] – ابن هشام، المغني، ج1، ص279.
[3] – الرضي، شرح الكافية، ج2، ص384.
[4] – السيوطي، الإتقان، ج1، ص172.
[5] – ابن منظور، لسان العرب، مادة "لعل"، ج14، ص128.
[6] – السيوطي، همع الهوامع، ج1، ص134.
[7] – سيبويه، الكتاب، ج4،ص333./و ج3،ص158.
[8] – البقرة آية 187.

لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾، ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [1]، ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[2].

ولو قيل في الأولى ليتّقوا لانتصب الفعل وذهب ذلك الإيقاع، ولذا وطّئ لرفعه بـــ"لعلّ" التي تفيد الرجاء عادة وتمنع الفعل من النصب بجعله مع فاعله في محل رفع خبر لها، وهذه الصورة تتكرر في الفواصل كثيرا، وقد راجعت مواطن استعمال "لعلّ" بهذه السورة المذكورة فوجـــدتها كثيرة، بل إن استعمال "لعلّ" بهذه الصورة هو الشائع في استعمالها في القرآن الكريم»[3].

ومن المواضع التي تكرّرت فيها "لعلّ" في الفاصلة للسبب نفسه قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [4].

وقولـــــه: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [5].

قال الكرماني : « لعلّي أرجع إلى الناس لعلّهم يعلمون» كرّر لعلّ رعاية لفواصل الآي إذ لو جاء بمقتضى الكلام لقال : لعلّي أرجع فيعلموا، بحذف النون على الجواب ومثلـــه في هـــذه السورة سواء قولـــه: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فمقتـــضى الكلام، لعلّهم يعرفونها فيرجعوا »[6] .

فالزيادة واردة عناية بالبعد الصوتي ونسق البيان في سرّ اعتداله وبلاغتـــه وقـــوة تـــأثيره، فتتواصل النفس مع النغم المنبعث من دقة الاختيار والنظم ويتلاحم الإيقاع مع ما في النفس مـــن الميل إلى الكلام الجميل، وهذا ما يؤكد حرص القرآن على إيقاع الألفاظ مع الحرص على جانب

---

[1] – الأنعام آية 65.

[2] – الأعراف آية 176.

[3] – السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص135.

[4] – يوسف آية 46.

[5] يوسف آية 62.

[6] – الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة، تونس، ص112.

الدلالة والبلاغة والتناسق كي يكون غاية في الإعجاز : « فيجتمع في الآيات والفواصل العذوبة والجزالة والطلاوة، حتى إنّها تطّرد عمّا هو متواضع عليه في اللّغة تكون في أحسن اطّراد وأبهاه»[1].

[1] – القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق:محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط3(1986م)، ص242.

المبحث الثاني : أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرة التضمين:

التضمين ظاهرة لغوية مشهورة في الدّرس اللّغوي والبلاغي والنّحوي والصّرفي، وهو من الدلائل الرئيسة على سعة اللّغة العربية ومرونتها، وحسن تصرفها، ودرب من دروب اختصارها.

والتضمين« هو أن يتوسع في استعمال لفظ توسعا يجعله مؤديا معنى لفظ آخر مناسبة له، فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم ».[1]

وبعبارة أخرى هو: « أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة ».[2]

ثم قال بعضهم « التضمين هو أن يستعمل اللفظ في معناه الأصلي، وهو المقصود أصالة لكن قصد تبعية معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ أو يقدر له لفظ آخر، فلا يكون التضمين من باب الكناية، ولا من باب الإضمار، بل من باب الحقيقة التي فيها قصد بمعناه الحقيقي معنى آخر يناسبه ويتبعه في الإرادة ».[3]

وفائدة التضمين هي أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين، فالكلمتان مقصودتان معًا قصداً وتبعًا، فتارة يجعل المذكور أصلاً والمحذوف حالاً، وذكر ذلك ابن هشام فقال : « قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضمينا، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين».[4]

وينقل السيوطي عن الزمخشري قوله: «والغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى ».[5]

ومن هنا يتضح لنا أن للتضمين فائدتين :

الفائدة **الأولى**: معنوية، وهي التي عني بها علماء البلاغة من حيث علاقتها بالحقيقة أو المجاز أو الكناية.

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ج2، ص308.

[2]- أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1993م)، ص267.

[3]- الكفوي، المصدر نفسه، ص267.

[4]- ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص642.

[5]- السيوطي، الأشباه والنظائر، ج1، ص219.

وأما الفائدة **الثانية**: وهي تختص بالتركيب، وهي التي عنى بها النحاة، وذلك من حيث تعدي الفعل ولزومه ومن حيث أثرها في تعليل المسائل النحوية .

ويحدثنا ابن جني عن كيفية وقوع التضمين قائلا : « اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بحرف آخر، فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيئ بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ».[1]

والتضمين في علم النّحو لا ينفصل بحال من الأحوال عن التضمين في علم البيان، ذلك أن عناية عالم النّحو تتجه نحو التركيب الصحيح الذي يتفق وقواعد العربية بغضّ النّظر عن القيمة الجمالية أو البيانية لهذا التركيب .

أما علم البيان فيعنى بالإضافة إلى التركيب الصحيح للعبارة بالقيمة الفنية أو البيانية لها، وعلى ذلك فإن المفهوم الذي أورده النّحاة والبلاغيون للتضمين والذي ينصّ على أنه : « إشراب لفظ معنى آخر، بحيث تؤدي الكلمة مؤدى كلمتين قد تجاذبه عالم النحو وعالم البيان، فنظركل منهما إليه من الزاوية التي تتفق وتخصصه العلمي، فإن أدت الكلمة مؤدى كلمة أخرى فهذا من التضمين النحوي، وإن كانت هناك علاقة ما بين المعنيين فهذا من التضمين البلاغي».[2]

ولعلّ هذه العلاقة بين المعنيين هي التي دفعت بعلماء البلاغة إلى التساؤل حول علاقة التضمين بالحقيقة والمجاز والكناية .

بمعنى هل التضمين من الحقيقة ؟ أم من الكناية؟ أم أنه جمع مابين الحقيقة والمجاز؟ أم أنه ركن أساسي قائم بذاته ؟[3]

في حين نجد أن علماء النّحو لا يعنيهم أن يكون التضمين من الكناية أو من المجاز أو غير ذلك، وإنما الذي يعنيهم في المقام الأول أن يفسر لماذا هذه المادة اللغوية مكان تلك بحيث أدت وظيفتها في سياق جديد.

---

[1] – ابن جني، الخصائص، ج2، ص308.

[2] – أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان / دار الشروق، عمان الأردن، ط1، (1422هـ - 2001 م)، ص41.

[3] – ينظر : أحمد حسن حامد، المصدر نفسه، ص8 وما بعدها .

فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾[1]، فإن النّحوي يقول: «إنّ أحسن فعل متعدٍ أصلاً بلا حرف، ولكنه عدّي هنا بحرف الجر لأنه تضمن معنى" لطف" والإحسان هو اللّطف ».[2]

وهذا يكفي من وجهة نظر النّحوي، أما البياني فيسأل عن علاقة المعنى الجديد بالمعنى الأصلي للكلمة من حيث كون الثاني حقيقة أو مجازا أو من باب الكناية فهذا شأن عالم البيان، وليس من شأن عالم النحو.

والتضمين نوع من الاتّساع في العربية يؤدي إلى معانٍ توضح التراكيب و الألفاظ والحروف، وهو يشمل أقسام الكلمة الثلاث: الاسم والفعل والحرف، فإن أدّى حرف معنى حرف آخر فهو تضمين، وإن أدى فعل لازم وظيفة فعل متعد فهو تضمين، وإن أشرب الاسم معنى الحرف وأدى وظيفته في التركيب فهو تضمين.

ونخلص من ذلك إلى أنّ التضمين: « ضرب من الاتساع، وأن أصحاب الأمالي أخذوا به وذكروه في مجالسهم، إذ أنهم ألحقوا مادة بأخرى لتضمنها معناها أي :أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين، وفطنوا إلى أنّ التعدية تدل على التضمين فإن ضمن اللازم معنى التعدية فإن التعدية حينئذ قرينة التضمين، والأدلة التي ذكرها النّحاة دلّت على أنّ العرب مع حكمتهم لا يتكلمون بما لا يفيد وأنّ الكلام الذي وضع في الأصل ما وضع إلا لفائدة قليله في وجوب الفائدة ككثيره».[3]

فباب التضمين واسع في اللغة وشائع في أساليب العربية وتراكيبها ويصف ابن جنّي هذا الاتساع فيقول : « ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابا ضخما، وقد عرفت طريقه، فإذا مر بك شيء منه فتقبّله وأنس به فإنه فصل من العربية لطيف».[4]

---

[1] – يوسف آية 100.

[2] – الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ضبط :إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2008م)، مج2، ص138.

[3] – سعد الدين المصطفى، أصول التوجيهين النحوي والصرفي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، (2010)، ص323.

[4] – ابن جني، الخصائص، ج2، ص210.

وقد اختلف البلاغيون والبيانيون في مسألة نيابة [1] الأفعال والحروف بعضها عن بعض أو تضمن بعضها بعضا، أم أنه لا نيابة ولا تضمين، وإنّما لكل فعل أو حرف معنى محدد .

بمعنى أخر: هل هناك تناوب أم تضمين في البيان ؟أم أنه لا تناوب ولا تضمين ؟

فانقسموا أمام هذه المسألة إلى ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : نفى القول بالتناوب بين الأفعال والحروف، كما أنهم نفوا التضمين أيضا، وذهبوا إلى أنّ كل حرف يؤدي معناه، وكل فعل يؤدي معناه، وقد اختار هذا المذهب حسن عواد الذي قرّر حقيقتين هما :

1- بطلان نيابة حروف الجر عن بعضها بعضا، لأن كل حرف منها يؤدي معنى خاصا به لا يؤديه أي حرف آخر.

2- بطلان مسألة التضمين بطلانا تاما [2].

فهو يرى أن كل فعل أو حرف يدل على معناه دلالة تامة، بحيث لا يمكن أن ينوب عنه غيره ولا يتضمن هو غيره .

المذهب الثاني : قال أصحابه بتناوب حروف الجر في القرآن، والذين قالوا بهذا القول هم الكوفيون ومن معهم مثل ابن هشام [3]وعباس حسن[4]، فعندهم أن لكل حرف من حروف الجر عدّة معان، يدل على كل معنى دلالة أصلية حقيقية لا مجازية .

المذهب الثالث: نفى أصحابه القول بالتناوب واستعاضوا عنه بالقول بالتضمين واعتـــبروه مظهرا من مظاهر فصاحة اللغة و سموّ البيان المعجز، والذين قالوا بذلك هم البصريون ومن معهم من جمهور النّحويين والبلاغين.

---

[1] – المقصود بالنيابة : هو أن ينوب فعل مذكور عن فعل غير مذكور في المعنى في العمل النحوي فيؤدي الفعل المذكور معنى وعمل الفعل غير المذكور، وأن ينوب الحرف المذكور عن حرف غير مذكور، فيؤدي معناه ويعمل عمله (عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص153).

[2] – حسن عواد، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، ص81. (نقلا عن كتاب إعجاز القرآن البياني، صلاح الخالدي، ص 153).

[3] – ابن هشام، مغني اللبيب، ج2،ص642.

[4] – عباس حسن، النحو الوافي، ج2،ص564.

مثل ابن جني و أبي هلال العسكري، وابن تيمية وابن القيم والدكتورة عائشة عبد الرحمان من المعاصرين.

فظاهرة التضمين قد تكون في الأفعال، وقد تكون في الحروف بحيث يضمن الفعل المذكور معنى الفعل المقدر، ويدل على الفعلين معا، ويضمن الحرف المذكور معنى الحرف المقدر، ويدل على الحرفين معا.

وعليه يكون التضمين «مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن، وصورة من صور الإيجاز القرآني العالي، فهو أسلوب بياني رفيع، قائم على حسن العرض ودقة التعبير وروعة الإيجاز والاختصار، فهو عبارة عن فعلين في فعل أو حرفين في حرف، وهذا يقود إلى معنيين مختزلين في تعبير واحد وكأنهما آتيتان في آية، وهذا هو جمال التضمين ».[1]

وعليه نقول إنّ التضمين يقع في الحروف وغير الحروف في القرآن الكريم وأساليب العربية الفصيحة بدليل قول الزركشي «هو واقع في القرآن».[2]

غير أن التضمين أكثر ما يكون في الأفعال توسّعا في دلالتها، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ .[3]بتعدية "يشرب" بالياء بدلا من تضمن الفعل معنى "يروي ويلتذ" أو تضمين الباء معنى من.

ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [4] بتعدية "يقبل "ب"عن" لتضمينه معنى العفو والصفح .

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [5].

بتضمين الفعل "نصر" معنى "منع".

---

[1] – صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمان، عمان، ط1، (1421هـ – 2000م)، ص151.

[2] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص343.

[3] – الإنسان آية 6.

[4] – التوبة آية 104

[5] – الأنبياء آية 77.

ويكون التضمين أيضا في الأسماء فيكون بتضمين اسم معنى آخر لإفادة معنى الاسمين معا، كقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىَّ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[1].

بتضمين "حقيق"معنى "حريص"، أي أنه محقوق بقول الحق حريص عليه.

أما التضمين في الحروف والتناوب بينها فقد أكثر النّحاة من الحديث عنه من حيث أقسامه وأنواعه وجوازه وعدم جوازه .[2]

«واستعمال حروف الجرّ داخل التراكيب اللغوية من غير معانيها الحقيقية مراعاة أحيانا إلى غموض الدلالة وعدم وضوحها، وهو ما يؤكد أن الحرف حامل دلالته ولكن هذه الدلالة ليست مطلقة، وإنّما تحدد من السياق الذي يرد فيه الحرف»[3].

ومسألة نيابة الحرف عن غيره في المعنى واستعماله في موضع ليس من مواضعه المطردة، يكون لغرض أسلوبي يرجى فيه التعدد والتلوين في التعبير، أو تحقيق داعٍ من دواعي البلاغة والتأثير والجمال .

فالفرّاء مثلا قبل النيابة واستحسنها في غير موضع من القرآن وكلام العرب كقوله : «وربما جعلت العرب إلى في موضع اللام »[4]، ولكنّه قيد ذلك بتقارض معنيي الحرفين أو الحروف المتعاقبة، وهو يربط هذا التقارض بموضع آخر حسب طبيعة العامل والتركيب اللغوي، فقال في آية الصّلب: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[5]، « وإنما صلُحت "في" لأنّه يرفع في الخشبة في طولها فصلحت "في" وصلحت "على" لأنه يرفع فيها فيصير عليها »[6].

ووافق أبو عبيدة و الأخفش الفراء في هذه النيابة.

قال أبو عبيدة : « ومن مجاز الأدوات اللواتي لهنّ معانٍ في مواضع شتى، فتجئ الأداة منهن

---

[1] – الأعراف آية 105.

[2] – ينظر : ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص4 / الزركشي، البرهان، ج3، ص388.

[3] – هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، (1429هـ - 2008م)، ص386.

[4] – الفراء، معاني القرآن، ج2، ص9.

[5] – طه آية 71.

[6] – الفراء، المصدر نفسه، ج2، ص186.

في بعض تلك المواضع لبعض تلك المعاني، قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[1]»[2].

وقال الأخفش : « وتكون"إلى" موضع "مع" كما كانت "من" في موضع "على"»[3].

ومن المواضع التي ورد فيها التضمين في سياقات الفاصلة القرآنية ما يأتي:

1- وضع الفعل موضع آخر .

2- وضع الظاهر موضع المضمر .

3- وضع مصدر موضع آخر .

4- وضع صيغة محل أخرى

1- وضع الفعل موضع آخر :

للأفعال تقسيمات عديدة في النّحو العربي، فإذا نظرنا إليها من جهة الزمان نجد أنّها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، ماضٍ ومستقبل وحال، وهذا التقسيم تقسيم صرفي ينظر إلى صيغها، فدلالة الفعل من خلال هذا التقسيم على الزمن دلالته الصرفية أو معناه الوظيفي الصرفي .

وهذه الدلالة الزمنية للأفعال قد تكون مباشرة من خلال إشارة صيغ الأفعال إلى دلالة بعينها، فتكون صيغا للماضي والحاضر والمستقبل، وقد تكون دلالة غير مباشرة من خلال استخدام الأفعال في أزمنة تغاير صيغها، كأن نستخدم صيغ الحال أو المستقبل للدلالة على الماضي والعكس، ويتوقف تحديد دلالة هذه الصيغ على السياقات التي وردت فيها .

وقد وضّح ابن الشجري علة جواز هذا العدول الذي يحدث في صيغ الأفعال فتوضع إحداها موضع الأخرى، فيقول في أماليه : « ووجه استجازتهم هذا الإبدال مع تضاد الأفعال أن الأفعال جنس واحد، وإنّما خولف بين صيغها لتدل كل صيغة على زمان غير الذي تدل عليه الأخرى، وإذا تضمن الكلام معنى يزيح الإلباس جاز وضع بعضها في موضع بعض توسّعًا »[4].

---

[1] – طه آية 71.

[2] – أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص14.

[3] الأخفش، معاني القرآن، ص250.

[4] – ابن الشجري، أمالي الشجري، تحقيق :محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة ط2(1427هـ-2006م)، ج1، ص68.

وفيما يأتي صور لهذا العدول في سياق الفاصلة القرآنية :

أ)- وضع المستقبل موضع الماضي :

يوضّح ابن الأثير فائدة هذا العدول قائلا : « واعلم أنّ الفعل المستقبل إذا أوتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأنّ السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي »[1].

ومن بديع هذا الشكل من أشكال التضمين ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[3].

فقد عدل الأسلوب القرآني هنا عن صيغة الماضي "قتلتم" إلى صيغة المضارع "تقتلون" حيث لم يقل "وفريقا قتلتم" كما سوّى بينهما في سورة الأحزاب فقال: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[4] «وذلك لأجل أنها هنا رأس آية»[5].

والتقدير "ففريقا كذّبتم وفريقا قتلتم" أو "ففريقا كذّبوا وفريقا قتلوا"، والكلام هنا في شأن بني إسرائيل ممّن كذّبوا الأنبياء وقتلوا بعضا منهم، والفواصل هنا نونية ولذا جاء فعل التكذيب بصيغة الماضي لأنّه ليس بفاصلة، أمّا فعل القتل فقد ورد بصيغة المضارع الاستقبالي المرفوع بثبوت النون لأنه فاصلة فيتواءم مع الفواصل "تشهدون، تعلمون، يؤمنون"، ومن ثمّ كان يحتم أمر المحافظة على الإيقاع في الفواصل وروده بصيغة المضارع "تقتلون" أو "يقتلون " .

قال الطاهر بن عاشور: « وجاء في "تقتلون" بالمضارع عوضا عن الماضي لاستحضار الحالة الفظيعة وهي حالة قتلهم رسلهم، كقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي

---

[1] – ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص12.

[2] – البقرة آية 87.

[3] – المائدة آية 70.

[4] – الأحزاب آية 26.

[5] – الزركشي، البرهان، ج1، ص67.

ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]، مع ما في صيغة "تقتلون" من مراعاة الفواصل، فاكتمل بذلك بلاغة المعنى وحسن النظم »[2].

وجاء في البحر: « أنّه أتى بفعل القتل مضارعاً، إمّا لكونه حكيت أنه الحال الماضية، إن كانت أريدت فاستحضرت في النفوس، وصور حتى كأنّه ملتبس به مشروع فيه، ولما فيه من مناسبة رؤوس الآي التي هي فواصل، وإمّا لكونه مستقبلاً، لأنهم يرومون قتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك سحروه وسمّوه »[3].

وأضاف السيد خضر نكتة بلاغية أخرى هي : « أنّ التعبير بالمضارع يفيد التجدد والاستمرار واستحضار الصورة للعقل، زيادة في التنكير عليهم والتوبيخ، وفعل التكذيب أقلّ ضررا من فعل القتل في حق الأنبياء وإن كان كلاهما كفرا وإلحادا، ولذا جاء التكذيب بالماضي، والقتل بالمضارع لأنه أشد جرما »[4].

ب- وضع الماضي موضع المستقبل أو الحال :

إذا كان التعبير القرآني يؤثر في بعض الأحيان العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المستقبل أو الحال، فإنّه قد يأتي بعكس ذلك في أحيان أخرى، فيضع الماضي موضع الفعل المضارع الدال على زمن الاستقبال أو الحال .

وفائدة ذلك على حدّ قول ابن الأثير :« أنّ الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد، كان ذلك أبلغ و أوكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لأنّ الفعل الماضي يعطي أنّه قد كان ووجد، وإنّما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها، فالفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أنّ الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنّه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد »[5].

---

[1] – الروم آية 48.

[2] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص581.

[3] – أبو حيان، البحر المحيط، ص483.

[4] – السيد خضر، فواصل آيات القرآنية، ص125.

[5] – ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص15-16.

ومن صور هذا التضمين المرتبط بالفواصل قوله تعالى: ﴿ فَلَاصَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾[1] .

قال الأخفش : « أي "لم يصدق و لم يصل"، كما تقول: "جاءني ولا جاءك"»[2]، ومجيء "لا صدق ولا صلى" بصيغة الماضي إتباعا لتسلسل الآيات في الفاصلة « إذ ورودها بصيغة "لم يصدق و لم يصل" يؤدي إلى الشعور بالرّتابة والشذوذ والزلل في عدم انسجام الصّوت النّغمي للآيات»[3].

2- وضع الظاهر موضع المضمر :

من عادة العرب أن يذكروا الاسم أوّل مرة ثم إذا عادوا إليه عادوا بالضمير المناسب لذلك الاسم وهو لون من ألوان الإيجاز والاختصار، ولولا ذلك لطال الكلام وحدث الملل، ولكن ثمة مواضع يؤثر فيها وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التقرير للمعنى والتمكين له والتوكيد، وهذه المعاني قد تكون للتعظيم أو للتحقير...[4]

وهذا الشكل يكثر مجيئه في القرآن الكريم، يقول العلوي في إبراز فائدته : « واعلم أن هذا وإن كان معدودا من علم الإعراب، لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أن الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدته جزلة، وهو تعظيم حال الأمر المظهر والعناية بحقه».[5]

وما يهمنا هنا هو ما جاء في سياق الفاصلة للتمكين للمعنى وإقامة الفاصلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.[6]

ذكر "المحسنين" و لم يقل: "فإنّ الله لا يضيع أجرهم" « وفي ذلك وضع للظاهر موضع المضمر إذ مقتضى الظاهر أن يقال فإنّ الله لا يضيع أجرهم، فعدل عنه إلى المحسنين للدلالة على أن ذلك من الإحسان، والتعميم في الحكم ليكون كالتذييل، ويدخل في عمومه هو وأخوه».[7]

---

[1] - القيامة آية 31.

[2] - الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص558.

[3] - أحمد إسماعيل عبد الكريم، مقال : تناسب الفواصل القرآنية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مصر، قنا، ع59، ص17.

[4] - ينظر : الزركشي، البرهان، ج2، ص498.

[5] -العلوي، الطراز، ج2، ص148.

[6] -يوسف آية 90

[7] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص113.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[1]، حيث أعاد ذكرهم بلفظ المصلحين لتمسّكهم بالكتاب وإقامة الصلاة، فقد وضع «الاسم الظاهر"المصلحين" موضع المضمر أي لا نضيع أجرهم »[2] .

وكل ذلك يحقق الإيقاع في الفاصلة كما هو معلوم، إذ لو قال أجرهم لم تتوافق الفاصلة مع غيرها من الفواصل المنتهية بالنون.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، ولم يقل "عدو لهم" وإنّما آثر الأسلوب القرآني إعادة ذكرهم باللّفظ الظاهر "الكافرين" دون المضمر .

قال الزمخشري : « أراد عدوّ لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنّما عاداهم لكفرهم، وأنّ عداوة الملائكة كفر».[4]

وأبو حيان يعلّل سبب إيقاع الظاهر موقع المضمر« لتواخي أواخر الآي، ولينصّ على علة العداوة وهي الكفر».[5]

وهذا اللّون كثير في القرآن، وعلى هذا الأساس نرى أنّ الظاهر يقع موقع المضمر لعلّتين أساسيتين هما :

1- العناية بإيقاع الفواصل وتناسب أواخر الآي.

2- فائدة سياقية بإضافة معنى زائد لم يكن ليتحقق لو جيء بالمضمر موقع الظاهر.

3- وضع مصدر موضع آخر:

قد يؤثر التعبير القرآني في بعض الأحيان العدول عن المصدر الأساسي للفعل إلى مصدر فعل آخر أو ما يسمّيه النحاة في هذه الحالة ب"اسم المصدر"، فيضعه موضعه لعلّة دلالية وجمالية في

---

[1] - الأعراف آية 170.

[2] - أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص212.

[3] - البقرة آية 98.

[4] - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص518.

[5] - أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص518.

الوقت نفسه .

ومن هذا النحو من حسن وضع المصدر موضع غيره من المصادر ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ [1] . فعدل عن المصدر "تَبَتُّلاً" إلى "تَبْتِيْلا" ومقتضى الظّاهر أن يأتي المصدر "تبتُّلاً" في موضع "تَبْتِيْلا"، ولكن الأسلوب القرآني عدل عن ذلك الظاهر، وقد جرى معظم المفسرين الذين تعرضوا لبيان سرّ هذا العدول في الموضع على تعليله برعاية الفاصلة .

قال الزمخشري : « فإن قلت: كيف قيل "تبتِيْلا" مكان "تَبَتُّلا" ؟ قلت: لأنّ معنى تبتَّل بتَّل نفسه، فجيء به على معناه مراعاةً لحقّ الفواصل».[2]

وإلى مثل هذا الرّأي ذهب أبو حيان فأرجع حسن هذا العدول إلى مراعاة الفواصل فقال: «وانتصب "تبتيلاً" على أنّه مصدر على غير المصدر، وحسُن ذلك كونه فاصلة ».[3]

وقال صاحب التّحرير والتّنوير: « وجيء بهذا المصدر عوضا عن التبتّل للإشارة إلى أن حصول التبتّل أي الانقطاع يقتضي التبتّل أي القطع ... فالجمع بين "تبتَّل" "وتبتِيْلا" مشير إلى إراضة النفس على ذلك التبتُّل، وفيه مع ذلك وفاء برعي الفواصل التي قبله ».[4]

وعليه نقول إنّه لو جاء مصدر الفعل "تَبتَّل" هو "تبتُّل" فإن ذلك لا يحقق الإيقاع في الفواصل التي فيها المدّ :"طويلا"، "تبتيلا"، "وكيلا"، ولذا أوثر مصدر آخر من لفظه وهو "تبتيل"، كما أن السرّ في هذا العدول أيضا هو تضمين المصدر "تبتيلا" معنى "التبتُّل" أيضا، وذلك كما يضمن الفعل معنى فعل آخر عن طريق تعديته بغير الحرف الذي يعدّى به، والمقصد هنا أن نبيّن أن الله تعالى في هذا الموضع قد ضمن الفعل "تبتَّل" معنى "بتَّل" وضمّن المصدر "تبتِيْلا" معنى "تَبَتُّلا"، وكأنّ المقصود من المخالفة بين الفعل ومصدره هي الإفادة بكلا المعنيين اللذين اشتمل عليهما كل من الفعل والمصدر فالفعل "تبتَّل" على صيغة "تفعَّل"، و "تفعَّل" تأتي لمعانٍ منها التكلف، كتصبَّر وتحلَّم = تكلّف الصّبر والحلم [5].

---

[1] – المزمل آية 8.

[2] – الزمخشري، الكشاف، ج4، ص177.

[3] – أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص316.

[4] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص248

[5] – ينظر :أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر، عمان، ط1(1421هـ-2000م)،ص45.

ومن ثمّة نرى أنّه قد أتى في الفعل "بالتبتّل" وهو على وزن التفعّل الدال على التكلّف والمحاولة ليتضمن معنى التكلف والتحمل والتصبر على المشاق مخالف لمألوف النفوس، وأتى في المصدر "تبتيلا" وهو على وزن "تفعيل" الدال على التكثير .[1]ليدل على أن المراد هو الإكثار من هذا التبتل والانقطاع، وبهذا يتضمن الأمر معنى المحاولة والمجاهدة مع الإكثار من التبتّل المطلوب للداعي ليكون زادا له في دعوته للناس.

إضافة إلى ذلك أنّ من معاني "تفعّل" مطاوعة فعل مضعّف العين كنبّهته فتنبّه وكسرته فتكسّر.[2]

ومن هنا يزداد إدراكنا للإعجاز القرآني في ذلك العدول في هذه الصيغة، وهو أنّ السبب في إيثار "تبل" على "تبتّل" مطاوع "بتّل" حيث يقال "بتّله" "فتَبَتَّل"، فحيثما عدلت الآية عن مصدر "تبتّل" إلى مصدر "بتّل" فإنها ضمّنت الفعل معنى "بتّل" وهذا يشعر أن هذا التّبتّل قد حدث بعد كثرة تبتيل للنفس .

قال الرازي : «الواجب أن يقال : وتبتل إليه تبتّلاً، أو يقال : بتِّل نفسك إليه تبتيلاً، لكنه تعالى لم يذكرهما واختار هذه العبارة الدقيقة وهي أنّ المقصود بالذات إنّما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلاً إلى الله، لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً إلى الله، إلا أنه لا بد أولاً من التّبتيل حتى يحصل التبتّل»[3]

ومن ثمة يكون فائدة العدول هنا « تضمين كل من الفعل والمصدر أحدهما معنى آخر، ومن ثمة يكون كلا الأمرين مطلوبين للسالك إلى الله فلا غنى له عن تكلف التبتل ومحاولته ليحمل نفسه عليه لثقله عليها أول أمره، ولا بدّ من إكثار التبتّل ومحاولته حتى تعتاده النفس وتطاوع له»[4].

ورأى صاحب كتاب المناسبة في القرآن أنّ السبب في هذا العدول هو مراعاة السّياق فقال: «وكان من المناسب لكي يتحقق هذا المعنى أن يأتي المصدر" تبتيلا" في موضع "تبتّلا" وذلك لما

---

[1] – ينظر :الحملاوي، المصدر السابق، ص43.

[2] – ينظر: الحملاوي، المصدر نفسه، ص45.

[3] – الرازي، تفسير الرازي، ج30، ص178.

[4] – عبد الحميد الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن، عالم الكتب الحديث – اربد – الأردن، جدار للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ط1، (1429هـ - 2008م)، ص173.

يتصف به الأول من وجود ساكن بعد كل متحرك، وهو ما يشير إلى وجود الصّبر والتأني والوقوف عند كل ما في العبادة من أقوال وأفعال لتدبرها وتأمّلها، وهذا بخلاف اللّفظ الثاني الذي لا يأتي فيه الساكن إلا بعد متحركين، وهذه صفة لا تعطيه ما في اللفظ الأول من إيحاء بالتوقف والتأني والتدبّر، ومن هنا كان عدول التعبير القرآني عن "تبتلا" إلى "تبتيلا" ليتّفق ومدلول السياق»[1].

ومن بديع ما ورد في ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾[2]. حيث عدلت الآية عن المصدر "إنباتا" إلى "نباتا" ذلك أن مصدر "أنبت"هو "إنبات"، ولكن أوثر عليه "نبات" لخفة اللّفظ وأدائه المعنى نفسه، وقد علّل أغلب المفسرين للاختيار في "أنبتكم أنّه ضمن معنى الإنشاء، وكان الأولى أن يبيّنوا سرّ العدول في اسم المصدر "نباتا" إلا أنّهم اكتفوا بتوجيهه بقولهم : « والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا »[3].

والإنبات إنّما ينظر فيه إلى صنع الله عز وجل وهو خفي، فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر الإبداع والقدرة، « فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله تعالى ولطف صنعه و الامتنان على عباده بنعمه، وسياق الآية يساعد على ذلك المعنى أتمّ المساعدة »[4].

أمّا الطاهر بن عاشور فقد كان أطول عنقا في بيان سرّ هذا العدول إذ يقول: « ونباتا: اسم من أنبت، عُومل معاملة المصدر فوقع مفعولا مطلقا لـ (أنبتكم) للتوكيد، ولم يجر على قياس فعله فيقال : إنباتا، لأن نباتا أخف فلمّا تسنى الإتيان به لأنه مستعمل فصيح لم يعدل عنه إلى الثقيل كمالاً في الفصاحة»[5].

ثم يعلل سبب عدم العدول في" إخراجا" إلى "خروجا" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا

---

[1] – مصطفى شعبان، المناسبة في القرآن، ص362.

[2] – نوح آية 17.

[3] – ينظر : الزمخشري، الكشاف، ج4، ص163 / الطبري، جامع البيان، ج14، ص118 / أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص 284.

[4] – الهنداوي، الإعجاز الصرفي، ص173.

[5] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص190.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [1]، بأنه « لعدم ملاءمته لألفاظ الفواصل قبله المبنية على ألف التأسيس فكما تعدّ مخالفتها في القافية عيبًا كذلك تعدّ المحافظة عليها في الأسجاع والفواصل كمالاً »[2].

وعليه يكون سبب تضمين المصدر "نباتا"، "إنباتا" هو مراعاة الخفة في الألفاظ، ومناسبتها لما قبلها من الفواصل بما يحقق انسجامًا موسيقيًا جميلاً.

4- وضع صيغة محلّ أخرى :

أ- وضع صيغة فاعل محلّ صيغة مفعول :

قد تنوب بعض الصّيغ عن بعضها البعض، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[3]، قالوا إنّ: «راضية بمعنى مرضية »[4]أو « مرضي بها»[5] وفيها الرضا، والعرب تقول : «هذا ليل نائم، وسرّ كاتم، وماء دافق، فيجعلونه فاعلا وهو مفعول في الأصل »[6].

وجاء في روح المعاني « أي ذات رضا ....ومعنى ذات رضا أي ملتبسة بالرضا، فيكون بمعنى مرضية أيضا »[7].

وقال الطاهر بن عاشور إنّ: « وصف عيشة براضية مجاز عقلي لملابسة العيشة حالة صاحبها وهو العائش، ملابسة الصفة لموصوفها، والرّاضي هو صاحب العيشة لا العيشة، لأن "راضية" اسم فاعل رضيت إذا حصل لها الرّضى وهو الفرح و الغبطة »[8].

ومعنى ذلك أنّهم لم يتصوّروا أن تكون العيشة نفسها راضية، إذ لا يتصور منها رضا أو سخط وإنما تكون مرضية عنها أو بها، « واللفظ جاء أولا موافقا للإيقاع حيث الفواصل في هذا

---

[1] - نوح آية 18.

[2] - الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، ج29، ص190

[3] - الحاقة آية 21.

[4] - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تعليق :خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1(1418هـ-1998م)،ج2، ص574.

[5] - ابن فارس، الصاحبي، ص224.

[6] - الفراء، معاني القرآن، ج3، ص182.

[7] - الألوسي، روح المعاني، م15، ص3.

[8] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص123.

الموضع : "حسابية، راضية، عالية، دانية "، ولو جاء بلفظ "مرضية" لانكسر الإيقاع كما هو معلوم، ولكن دلالة اللفظ كذلك تصور العيشة بأنها راضية أي الرضا منسوب إليها هي كأنّه خصيصة فيها لا في من تكون له، وذلك زيادة في إكرام أصحاب هذه العيشة »[1].

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [2]، قالوا : « دافق هنا بمعنى مدفوق»[3]، على تأويل اسم الفاعل بالمفعول.

«والدّفق صبّ فيه دفع، ومعنى دافق : نسبة إلى الدّفق الذي هو مصدر دفق كالابن والتامر، أو الإسناد المجازي، والدفق في الحقيقة لصاحبه »[4] .

ورأى الفرّاء : « أنّ أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب هذا سر كاتم وهم ناصب وليل نائم وعيشة راضية وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هنّ معهن »[5] .

فاللّفظ بهذه الصيغة وافق رنّة الفواصل التي جاءت على وزن فاعل "طارق، ثابت، دافق، الترائب" لوجود حرف مدّ قبل آخر حرفين من الفاصلة، هذا مع كسر الحرف قبل الأخير في كل منهما، ممّا يحقّق إيقاعًا جميلاً، في حين أنّه لو جاء اللفظ على "مدفوق" لذهب ذلك الجمال وحدث اختلال في النغمة التي تسير عليها وتيرة الفواصل في الآيات، وبالتالي فإن العدول من صيغة مفعول إلى فاعل يتوافق مع السّياق إيقاعًا ودلالةً .

ب- وضع صيغة مفعول محلّ صيغة فاعل :

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[6] أي ساترا.[7]

---

[1] – السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص112.

[2] – الطارق آية 6.

[3] – ينظر : أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص451./ الألوسي، روح المعاني، ج16، ص134.

[4] – الزمخشري، الكشاف، ج4، ص241.

[5] – الفراء، معاني القرآن، ج3، ص258.

[6] – الإسراء، آية 45.

[7] – الثعالبي، فقه اللغة، ج2،ص575.

قال الأخفش : « لأنّ الفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول إنّك مشؤوم علينا وميمون علينا، وإنّما هو شائم ويامن، لأنه من شأمهم و يمنهم و الحجاب ها هنا هو السّاتر، وقال مستورا »[1].

وقد جاءت الفواصل في هذا الموضع "غفورا، مستورا، نفورا، مسحورا "، ولفظ المفعول يحقّق التّوافق الإيقاعي في الفواصل، ويحافظ على تجانسها في آيات السورة التي وردت بتنوين الفتح، فجرَت بذلك الفواصل على وتيرة واحدة، ولو جاءت الفاصلة بصيغة الفاعل ساترا، لأحدث ذلك شذوذا، ولذهب ذلك الإيقاع المتحقق بثلاثة أحرف مكرّرة في مدّ الفاصلة.

أما الناحية الدلالية لهذه الصيغة فيقول فيها الزمخشري : « حجابا مستورا : ذا ستر، كقولهم: سيل مفعم، أي : ذو إفعام، وقيل : هو حجاب لا تراه الأعين فهو مستور عنها، وقيل: حجاب من دونه حجاب فهو مستور بغيره »[2].

فاسم المفعول إذن أبلغ في الدلالة من اسم الفاعل.

وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ [3] أي آتيا[4] وقيل في "مأتيا" « مفعول بمعنى فاعل، والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها »[5].

وقد وصف الوعد نفسه بأنّه مأتي، وهو بذلك يحقّق إيقاعا في الفواصل بصيغة المفعول "مأتيا" لا يحققه بصيغة فاعل "آتيا"، لأنّ أغلب الفواصل في هذا الموضع أتَتْ بياء مشددة بعدها ألف مدّ "حيّا، شيئا، مأتيا، عشيا، تقيّا"، وعلى ذلك كان يقتضي التّجانس الصّوتي والتّناسب النّغمي أن تأتي "مأتيا" حذر النشاز والزلل.

ج- وضع حرف جر مكان آخر:

تلازم الأفعال وبعض الأسماء حروفا معينة تتعدى بها في سياق ما، وحين يكون الفعل لازما يصل إلى ضميمته من حروف الجر بواسطة حرف خاص من هذه الحروف يحدده معنى

---

[1] - الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص424.

[2] - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص451.

[3] - مريم آية 61.

[4] - ابن فارس، الصاحبي، ص224.

[5] - الزمخشري، المصدر نفسه، ج2، ص515.

السياق، وتسمى العلاقة بين الفعل والحرف عندئذ علاقة سياقية، فإذا استبدلنا بحرف الجر الأساسي حرفا آخر صارت الجملة غير نحوية بمعنى انتقال التركيب من الإبلاغ الحقيقي إلى الإبلاغ الفنّي، وبذلك يكثر استعمال حرف مكان غيره لتقارب المعاني، ويعتمد على السياق في فهم ذلك.

وقد ورد هذا الاستبدال في سياقات الفاصلة القرآنية حينما استعمل القرآن لفظ أوحى متعديا بلام الجر، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [1] .

فقد عدّي الفعل "أوحى" باللام في حين كان أصله أن يعدّى "بإلى"- في أغلب الأحيان- وفي بعض المرات يتعدّى بنفسه .

قال ابن قتيبة : « قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ » أي: أوحى إليها، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [2]، أي: إلى هذا، يدلّك على ذلك قوله في موضع آخر: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [3]، وقوله : ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [4]». [5]

وعلّل صاحب التحرير والتنوير سبب تعدية الفعل أوحى "باللام" عوض "إلى" فقال : « وعدّي فعل أوحى باللام لتضمين "أوحى" معنى "قال"، كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [6]،وإلا فإنّ حق أوحى أن يتعدى بحرف "إلى"، وإنّما عدل عن فعل "قال لها" إلى فعل "أوحى لها" لأنه حكاية عن تكون لا عن قول لفظي ». [7]

وقيل إنّ تعدية أوحى "باللام " لا بـ " إلى" وإن كان المشهور تعديتها "بإلى" لمراعاة الفواصل. [8]

---

1 _ الزلزلة آية5.

2 – الأعراف آية 43.

3 – النحل آية 68.

4 – النحل آية 121.

5 – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص572.

6 – فصلت آية 11.

7 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص435.

8 – أبو حيان، البحر المحيط، ج30، ص523.

قال الألوسي: « واللام بمعنى إلى أي: أوحى إليها، لأنّ المعروف تعدي الوحي بها، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [1]، لكن قد يتعدى باللام كما في قول العجاج يصف الأرض:

أوحَى لَهَا الْقَرَار فَاسْتَقَرَّتْ * وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّت**[2]

ولعلّ اختيارها لمراعاة الفواصل».[3]

فهذا الاستعمال للحروف هو من "إيقاع حرف مكان غيره"[4]، والفاصلة في ذلك الموضع لا تحتمل "إليها"، وذلك حتى لا ينكسر الإيقاع الجميل المتكرّر في الآيات " زلزالها، أثقالها، مالها، أخبارها " ولذا جاء الفعل في الموضع معدّى باللام لمكان الفاصلة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] – النحل آية 68.

[2] – البيت من الرجز، لرؤبة بن العجاج ، نسبه إليه الجوهري ، ينظر: الصحاح للجوهري، مادة (وحى)، مج: 06، 2520.

[3] – الألوسي، روح المعاني، ج30، ص286.

[4] – السيوطي، الإتقان، ج2، ص128.

الفصل الثالث:

أثر الفاصلة القرآنية في الصّيغ الصّرفية وبعض التراكيب

المبحث الأول: الاختلاف في التذكير و التأنيث

المبحث الثاني: الاختلاف في العدد

المبحث الثالث: صرف ما لا ينصرف

المبحث الرابع: الاستغناء ببعض الصّيغ والتراكيب عن غيرها للفاصلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : الاختلاف في التذكير و التأنيث.

يعدّ الجنس مظهرا من مظاهر غريزة النوع في الإنسان، ولما كان كذلك انتبه الإنسان إلى الفرق بين الذكر والأنثى فعبر عنه باصطلاحات اللغة ووسائلها، ومما لا شك فيه أن اللّغات السّامية في مراحلها الأولى لم تكن تفرق بين جنس المذكر والمؤنث، وحين تطورت هذه اللّغات ومالت إلى التفريق واستخدمت علامات التأنيث، بقي فيها ما يشير إلى تلك المراحل السابقة، إذ واجه الدارسون العرب القدماء مفردات كثيرة تضطرب في الاستعمال بين التذكير والتأنيث بحسب لهجة الناطق بها .

ولعلّ سيبويه بلمحاته الذكية أشار بطريق غير مباشر إلى ما يتفق مع القول بأن الساميات لم تكن تعرف الفرق بين المذكر والمؤنث في مراحلها الأولى حين قال : « الأشياء كلّها أصلها التذكير ثم تختصُّ بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكّر، فالتذكير أوّل، وهو أشدُّ تمكّنا، كما أنَّ النكرة هي أشدّ تمكّنا من المعرفة، لأنَّ الأشياء إنَّما تكون نكرةً ثم تعرف فالتذكير قبل، وهو أشد تمكّنا عندهم. فالأول هو أشدّ تمكنا عندهم »[1].

وبذلك عدَّ علماؤنا القدماء : « المذكر أخفّ عليهم من المؤنث، لأن المذكر أول وهو أشد تمكناً وإنما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أنّ الشيء يقع على كل ما أخبر عنه (من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى) والشيء ذكر فالتنوين علامة للأمكن عندهم والأخف عليهم وتركه علامة لما يستثقلون »[2].

ولما كان المذكر عندهم أقوى من المؤنث لاعتبارات كثيرة، فقد قسموا المؤنث نفسه على أنواع، فمنها المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي، وجعلوا المؤنث الحقيقي أقوى من المجازي «ولذلك امتنع في حال السعة جاء هند، وجاز طلع الشمس، وإن كان المختار طلعت »[3].

وقد عُني علماء اللّغة بهذه الظاهرة فأفردوا لها مصنفات خاصة من ذلك كتاب "المذكر والمؤنث" للفراء، وكتاب "المذكر والمؤنث" للأنباري، وغيرها ... حيث وقفوا في هذه المصنفات

---

[1] – سيبويه، الكتاب، ج3، ص241.

[2] – سيبويه، المصدر نفسه، ج1، ص22.

[3] – ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص503.

على كثير من قضايا المذكر والمؤنث مما يرتبط بما يذكر ويؤنث من الأسماء، وما يرتبط بتذكير الفعل وتأنيثه مع الفاعل، أو الصّيغ الخاصة بالمذكر والمؤنث، وقضايا أخرى دلالية، كالإخبار عن المذكر بالمؤنث والعكس، فإذا وقع هذا الإحلال بينهما بحث في سياقه الخاص، الذي يرد فيه للبحث عن دلالة هذا الاختلاف في العناصر المكونة للجملة، وهذا الإحلال ليس خروجا على قواعد اللغة، بل إنّه جاء في كل حالة مراعيا السّياق والدلالة المرادة، وقد وقع هذا الإحلال في الفواصل القرآنية أكثر لحاجة الإيقاع إليه ومن ذلك : إحلال المذكر محل المؤنث أو إحلال المؤنث محل المذكر .

1- إحلال المؤنث محل المذكر :

وهنا يكاد يكون المعنى واحدا، إلا أنّ التعبير القرآني سلك فيه مسلكا فريدا مراعاة لتحسين المقاطع، ومحافظة على وجود الفاصلة .

يقول تعالى في وصف المشركين حين فرارهم من الدعوة: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾[1] .

فلماذا كانت التاء المربوطة في "تذكرة" وهي تعود على مذكر وهو القرآن الكريم؟ إذ التعبير المألوف الذي يجب أن يكون عليه في الآية "كلاّ إنّه تذكير فمن شاء ذكره" أي من شاء انتفع فيكون ذكرا له وإذا لم ينتفع به فيكون كالناسي له، وإذا جاء على هذه الصورة عاد الضمير في ذَكره على العائد المذكر "تذكير" على المألوف والمعتاد .

فالملاحظ إذن أن الفواصل اختلفت في الجنسية لتكون متلائمة وقد جعله الزركشي : « من باب تأنيث ما أصله أن يذكر وإنّما عدل إليها للفاصلة »[2].

فكان بذلك هذا التعديل في نهاية الكلمة لتتعادل الفواصل بأن « يؤنث ما أصله أن يذكر، وأن يبدل "تذكرة" بـ "تذكير" وهما بمعنى واحد تعديلاً للمقاطع وتناسبًا من أجل الفواصل »[3].

---

[1] – المدثر آية 53-54-55.

[2] – الزركشي، البرهان، ج1، ص65.

[3] – عبد الفتاح لاشين، الفاصلة في القرآن، ص27.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [1]، حيث جاء الخبر المؤنث "بصيرة" للمبتدأ المذكر "الإنسان"[2]، ولا يوجد تطابق بين المسند والمسند إليه في التذكير والتأنيث، فحمل الكلام على المعنى، على تقدير هو حجة بصيرة على نفسه، فيقول الشهاب الخفاجي «بصيرة فهو مجاز عن الحجة الظاهرة، أو بصيرة بمعنى بيّنة، وهي صفة لحجة مقدّرة، وجعل الحجّة بصيرة لأن صاحبها يبصر بها، فالإسناد مجازي »[3].

وفي ذلك ملمح بلاغي أشار إليه المفسرون[4] فحمل الكلام على معناه لا على لفظه، وملمح جمالي رفيع حقّقه الإيقاع الناتج عن تناسب الفواصل المنتهية بالهاء "معاذيره، به، قرآنه، بيانه....".

أمّا عن وجوهه النّحوية والدلالية فيذكر ابن الأنباري ثلاثة أوجه :

الأول: أن تكون الهاء فيه للمبالغة، كعلامة ونسّابة وراوية.

الثاني: أن يحمل الإنسان على النفس، فلذلك أنّث بصيرة.

الثالث: أن يكون أنّث بصيرة لأنّ التقدير فيه، بل الإنسان على نفسه عين بصيرة، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه [5].

2 – إحلال المذكّر محل المؤنّث:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [6]،حيث جعل مريم من القانتين بدلا من القانتات، « فغلب الذكورية على التأنيث، والقانتين شامل للذكور والإناث»[7].

وقال الزمخشري :« فإن قلت : لم قيل: من القانتين على التذكير ؟ قلت: لأنّ القنوت تشمل

---

[1] – القيامة آية 14.

[2] – أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص347.

[3] – ينظر:حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ج9، ص342.

[4] – ينظر:أبوحيان، البحر المحيط، ج10، ص347 / والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص1254.

[5] - ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج2، ص755./ وينظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص366.

[6] – التحريم آية 12.

[7] – أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص217.

من قنت من القبيلين، فغلّب ذكوره على إناثه، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنّها ولدت من القانتين لأنّها من أعقاب هارون أخي موسى »[1].

ورأى الطاهر بن عاشور أنّ هذه الآية مثال في علم المعاني حيث:« غلبت صيغة جمع الذكور و لم يقل من القانتات، جريًا على طريقة التغليب وهو من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر »[2].

وهذا التغليب الذي جاء في نهاية الآية ساهم في تناسب الفواصل، حيث إن الفواصل قبلها نونية "الداخلين، الظالمين"... « ولو جاءت الفاصلة القانتات لذهب الإيقاع، هذا مع ما للّفظ المذكر هنا من إيحاء خاص، وهو إدخالها مع الرجال لتشبّهها بهم في الطاعة وكثرة العبادة والقنوت »[3].

ومن مراعاة الفواصل للتذكير والتأنيث ماجاء في قوله تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾[4].

وقوله: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[5].

فأتى بوصف "أعجاز النخل" في آية القمر مذكرًا وهو كلمة "منقعر"، في حين أتى به في سورة الحاقة مؤنّثا وهو كلمة "خاوية".

والسّؤال الذي يطرح نفسه: لماذا أتى هذا الوصف في آية القمر مذكّرا وأتى في آية الحاقة مؤنّثا؟ وما سرّ البيان في ذلك؟ .

رأى أبو عبيدة أن لفظ "النّخل" يذكّر ويؤنّث، فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾[6]، « قد ضمّ بعضه بعضا، وهي النخل وهو النخل يذكر ويؤنث، وفي أخرى

---

[1] – الزمخشري، الكشاف، ج4، ص132.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص339.

[3] – السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص118.

[4] – القمر آية 20.

[5] – الحاقة آية 7.

[6] – الشعراء آية 148.

﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾[1]»[2] .

وهو إذا كان لم يشر هنا إلى الأساس اللّهجي للتّذكير والتّأنيث فإنّه في موضع آخر قال أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ خَاوِيَةٖ﴾[3]: « أصولها : مجازها لغة من أنّث النّخل »[4] .

أمّا الفرّاء فقد قال أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[5]، ما نصّه: « ومن قال : أصولها : ذهب إلى تأنيث النخل، لأنّ النخل يذكر ويؤنث »[6].

وقد ذكر أكثر المفسرين أنّ التذكير والتأنيث في الآيتين يسير على الفاصلة القرآنية، وهو اختيار أبي حيان في البحر المحيط، فقد قال عند تفسيره قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ خَاوِيَةٖ﴾ ما نصّه:«والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث، و إنما ذكر هنا لمناسبة الفواصل، وأنث في قوله: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ خَاوِيَةٖ﴾ في الحاقة لمناسبة الفواصل أيضا »[7].

وحكى الرّازي من قبله هذا القول عن المفسّرين وعقّب عليه بقوله : « وهو جواب حسن فإن الكلام كما يزين بحسن المعنى يزين بحسن اللفظ، كما يمكن أن يقال :النخل لفظه لفظ الواحد،كالبقل والنمل ومعناه معنى الجمع، فيجوز أن يقال فيه نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات، ونخل خاوٍ وخاوية وخاويات، ونخل باسق وباسقة وباسقات، فإذا قال قائل منقعر أو خاو أو باسق جرد النظر إلى اللفظ و لم يراع جانب المعنى، وإذا قال منقعرات أو خاويات أو باسقات جرد النظر إلى المعنى و لم يراع جانب اللفظ، وإذا قال منقعرة أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ»[8] .

---

[1] – القمر آية 20.

[2] – أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص88.

[3] – الحاقة آية 7.

[4] – أبو عبيدة، المصدر نفسه، ج2، ص267.

[5] – الحشر آية 5.

[6] – الفراء، معاني القرآن، ج3، ص144/ ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص527.

[7] – أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص42.

[8] – الرازي، التفسير الكبير، ج29،ص48.

ثم ذكر جوابًا آخر علّق به على هاتين الآيتين فقال : « وهذا غاية الإعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للألفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ فكان الدليل يقتضي ذلك، بخلاف الشاعر الذي يختار اللفظ على المذهب الضعيف لأجل الوزن و القافية »[1]

وخلاصة ماذهب إليه اللّغويون والمفسّرون في تفسير هذا الاستعمال أربعة مذاهب :

أولها : أن النخل أنّث على معنى الجماعة وذكّر على معنى الجنس [2].

ثانيها : التأنيث محمول على معنى الجماعة والتذكير على معنى الجمع[3].

ثالثها : إنّ مراعاة الفواصل هي الداعية إلى التأنيث والتذكير[4].

رابعها : يلحظ أنّ لفظ النّخل لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع، فإذا نظر إلى اللّفظ ذكّر وإذا نظر إلى المعنى أنّث [5] .

ويبدو أنّ كل وصف ممّا ذكر يصور جانبا من الحديث، فاستعمال "منقعر" يمثل النخل وقد قعرته الريح، أي أوقعته وقاربت ذلك، واستعمال خاوية بصورة بعد الوقوع، فتكون مواضعه خاوية، وكلا التشبيهين يصور قدرة الخالق في إنزال العذاب بثمود، : « ووجه الإعجاز أيضا أنّه أتى بلفظ مناسب للألفاظ السابقة واللاحقة لدليل يقتضي ذلك، وعلى هذا فالتناسب الموسيقي بين الآي لم يكن بطبيعة الحال على حساب قوة المعنى، ذلك أن الضرورة لا تفرض في التنزيل كما تفرض في الشعر »[6] .

ومعنى ذلك أن القرآن في هذين الموضعين اختار لكل موضع من الوصف ما يناسب اللفظ والمعنى معا، مع مراعاة الفاصلة القرآنية السابقة له واللاحقة، فقال سبحانه ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾، لأنّ " أعجاز" جمع تكسير لمذكر، مفرده "عجز"، وقال مرة أخرى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

---

[1] – الرازي، المصدر السابق، ج29،ص48.

[2] – ينظر:الزمخشري، الكشاف، ج4، ص39.

[3] – ينظر:ابن السراج، الأصول في النحو، ج2، ص430 .

[4] –ينظر:أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص179.

[5] – ينظر:الرازي، التفسير الكبير، ج29، ص48.

[6] –عماد عبد يحي، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دار دجلة، عمان ط1 (2009)، ص146.

خَاوِيَةٍ ﴾.

فأتى بلفظ خاوية مؤنّثا نظرا لتأنيث لفظ "أعجاز نخل"، لأن جمع التكسير مؤنث في المعنى وتأنيثه غير حقيقي، ولو جاء النظم معكوسا هكذا : أعجاز نخل منقعرةٍ، وأعجاز نخل خاوٍ، لكان ذلك فصيحا، ولكنّ لغة القرآن أفصح، لما فيها من ملائمة اللّفظ للمعنى، مع مراعاة الفاصلة القرآنية وهذه هي قوّة الإعجاز.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثّاني : الاختلاف في العدد :

يقوم النّظام النّحوي العربي على دراسة العلاقات بين الكلمات داخل السياق، ومن هذه العلاقات المطابقة بين بعض الأشكال في الجملة وتتمّ المطابقة بوسائل عدّة منها :الإفراد والتثنية والجمع.

ومعلوم أنّه ليس هناك من اللّغات الكائنة على ألسنة البشر اليوم على تعدّدها وتكاثرها لغة امتلكت وسائل التعبير عن العددية بكل دقائقها ودلالاتها كاللّغة العربية، فهناك في هذه اللّغة المفرد والمثنى والجمع بكل أنواعه، كجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، وجمع التكسير، وأبنية للجمع دالة على التكثير، وأبنية أخرى دالة على الجمع القليل، وهناك جموع جمع وصيغ لمنتهى الجموع، وغير ذلك « ممّا يؤكد مراحل التمييز الدقيقة للتدرج بين فكرة الإفراد والجمع على وفق نظام محكم يهب العربية اتّساعا في القواعد البنائية للكلمات والدلالات »[1] .

وعلى الرغم من امتلاك العربية سعة في قواعد التعبير عن العددية والتمييز بين دلالة الإفراد والتثنية والجمع تمييزا واضحا محكما، نجد أنّ هذه القواعد المقررة والأنظمة الدقيقة الصارمة لم تمنع العربي من استعمال المفرد للدلالة على الجمع، والجمع للدلالة على المفرد أو المثنى، و لم تمنع من أن يشمل المعجم العربي على ألفاظ تستعمل للدلالة على المفرد والجمع في آنٍ واحد.

وفي القرآن الكريم ما هو أعجب، فهناك عشرات الآيات يقرأ اللفظ المعين فيها بالإفراد تارة، وبالجمع أخرى من غير أن يتغير المعنى أو ينقص .

وفي هدي متابعتنا للفواصل القرآنية وجدنا اختلافات بينية ومتعددة في التعبير عن العددية، وهي على كثرتها يمكن توزيعها على خمسة أصناف :

أ- إحلال المفرد محلّ المثنى .

ب- إحلال المثنى محلّ المفرد .

ج- إحلال الجمع محلّ المثنى .

د- إحلال المفرد محلّ الجمع .

ه- إحلال الجمع محلّ المفرد.

---

[1] - هادي نهر، التفسير اللغوي والاجتماعي للقراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث – اربد، ط1 (1429هـ – 2008م)، ص123.

أ- إحلال المفرد محل المثنى :

وذلك بأن يكون الخطاب لمثنى فينصّ على أحدهما دون الآخر ومنه :

قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[1]

ففي هذه الآية الكريمة جاء الخطاب لآدم وحواء في بداية الآية، ولكنه ختم بخطاب آدم وحده، وقد علّل كل من أبي حيان، والزمخشري وابن عاشور إسناد الفعل لآدم عليه السلام فحسب، مع أن المخالفة صدرت من آدم وزوجه حواء، بأنّ ذلك مراعاة للفاصلة[2] .

حيث إنّ الآية التي قبلها : ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ والتي بعدها: ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ انتهيتا بألف مقصورة فكان من المناسب أن يقول "فتشقى" و لم يقل فتشقيا بألف التثنية، لأنّه لو قال بالتثنية لذهب ذلك الإيقاع الجميل الناتج عن توافق رؤوس الآيات السابقة واللاحقة[3].

ويضيف السيد خضر إلى هذا نكتة بلاغية بديعة فيقول : « ذلك أنّ أصل العمل والقوامة والسعي في هذه الحياة إنّما هو للرجال، والمرأة لرعاية الأسرة وعمل البيت، هذا هو الأصل المقرّر في الدين الحق، ولذا جعل الشقاء بمعنى الكدّ والتّعب والسّعي في الأرض لآدم وحده دون حواء، ليكون أصلا تقتدي به ذرّيتهما من بعدهما »[4] .

وكذلك لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما.

ب-إحلال المثنى محل المفرد :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾[5].

فقد ثنّى كلمة "جنّتان"، والأصل أن تأتي مفردة "جنّة"، وقد جعلها الزّركشي من باب تثنية

---

[1] - طه آية 117.

[2] - ينظر : أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص390 / الزمخشري، الكشاف، ج2، ص556.
ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص193.

[3] - العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ص424

[4] - السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص113.

[5] - الرحمن آية 46، 47، 48.

ما أصله أن يفرد[1].

ونقل عن الفرّاء أنه قال : « المراد ب" "الجنتان" في الآية تلك "جنة"».[2]

كقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[3]، فثنّى لأجل الفاصلة و« القوافي يقيمها الزيادة والنقصان، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام »[4].

ثم قال: « هذا باب مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة، وجمعها، واستشهد بقول زهير:

دِيَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا * مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ.**[5]

" الرقمتان " مكانان، والمراد مكان واحد، وثنّى على عادة العرب في ذلك .

وقول الشريف المرتضى :

وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكَّتَيْنِ تَحَاشَدُوا * وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ ذِي النَّخْلِ.**[6]

فـ"المكتان" مكة والمدينة – على التغليب – أو المراد مكة فقط، وثنّيت على عادة العرب في ذلك .

ثمّ إنّ الشاعر يشير بذلك اللّفظ إلى نواحيها، أو للإشعار بأنّ لها وجهين وأنك إذا وصلتها ونظرت إليها يمينا وشمالا، رأيت قي كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قوة، وصدرك مسرة .

ونظير ذلك قوله تعالى في قصّة ثمود :﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾[7] فإنهما رجلان قدار وآخر معه، و لم يقل أشقياها للفاصلة .

---

[1] – الزركشي، البرهان، ج5، ص64.

[2] – السيوطي، الإتقان، ج1، ص128 .

[3] – النازعات آية 41.

[4] – الفراء، معاني القرآن، ج3، ص116.

[5] – البيت من بحر الطويل، لزهير بن أبي سلمى، ينظر الديوان، ت:حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: (02)، (1426هـ - 2005م)، ص: 65.

[6] – البيت من بحر الطويل، للحارث بن هشام بن المغيرة، ينظر السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السّقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي، تراث الإسلام، ط: (02)، دت، مج: 02، ص: 13.

[7] – الشمس آية 12.

فقد ثنيت "جنتان" وأفردت "أشقاها" لأجل الفاصلة، رعاية للتي قبلها، والتي بعدها، إذ هي على هذا الوزن، والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان مالا يحتمله بقية الكلام.

وأنكر ابن قتيبة على الفّراء ذلك، فيقول مشدّدا حملته عليه : « وهذه ما حمل عليه كتاب الله، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف، أو نجيز على الله الزيادة والنقصان في الكلام لرأس آية، وإنما يجوز في رؤوس الآي أن نزيد "هاء للسّكت"، كقوله : ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ** ﴾ [1]، أو "ألفا" كقوله : ﴿ **وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠** ﴾ [2]، أو همزة من الحرف كقوله تعالى: ﴿ **أَثَٰثًا وَرِءۡيًا** ﴾ [3]، أو "ياء" كقوله ﴿ **إِذَا يَسۡرِ** ﴾[4]، لتستوي رؤوس الآي على مذهب العرب في الكلام، لأن هذا لا يزيل معنى عن وجهته، ولا يزيد ولا ينقص، فأما أن يكون وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي، فمعاذ الله، وكيف يكون هذا وهو تبارك يصفها بصفة الاثنين، فقال تعالى: ﴿ **ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ** ﴾[5]، ثم قال "**فيهما**"»[6].

وكذلك أنكرت الدكتورة عائشة ذلك على الفرّاء فقالت : « ليس التثنية جنتين مراد بهما الإفراد، وعدل القرآن إليهما مراعاة للنّظم، كما ذهب الفّراء وإنّما السّياق قبلها وبعدها على التثنية »[7].

وذكر الفاصلة بلفظ "الجنّة" مفرده أو مجموعه ينصب بالإيقاع، فالتثنية محققة لإيقاع الفاصلة، والجنّة ترد في القرآن مفردة لأنها حقيقة واحدة وجاءت مجموعة لأنها درجات ودرجات، فكأن الجمع فيها للتكثير لا لحقيقة العدد، و لم يبق من صور اللفظ غير التثنية فجاءت في سورة الرحمن ولعله الموضع الوحيد الذي جاءت فيه جنة الآخرة فيه مثناة .

---

[1] – القارعة آية 10

[2] – الأحزاب آية10 .

[3] – مريم آية 74.

[4] –الفجر آية 4.

[5] – الرحمن آية 48.

[6] – ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17،ص148./ والسيوطي، الإتقان، ج2، ص 100 .

[7] – عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني، ص255.

ج – إحلال الجمع محل المثنى :

ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[1].

لو جرى اللّفظ على قياس البشر لقالوا : طائعين تعود على السماء والأرض ولكن لو ثنى، فإن ذلك يذهب بالمدّ المتحقق في الفواصل فيذهب الإيقاع والفواصل هنا هي" للسائلين، طائعين، العليم "، فالمدّ موجود فيها جميعا فتحقق الإيقاع بلفظ الجمع "طائعين" الذي وقع حالاً للمثنى .

قال الزمخشري : « فإن قلت:هلا قيل طائعين على اللّفظ ؟ أو طائعات على المعنى لأنها سماوات وأرضون ؟ قلت : لما جعلهن مخاطبات ومجيبات، وصفن بالطّوع والكره قيل : طائعين في موضع طائعات »[2].

د– إحلال المفرد محل الجمع:

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[3].

«حيث استغضى بالمفرد إماما عن الجمع »[4]، وأراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللّبس، كقوله تعالى : « ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾[5]... أو أراد واجعل كل واحد منا إماما ....أو أراد وجعلنا إماما واحدا لاتّحادنا واتّفاق كلمتنا »[6] فجاءت كلمة "إماما" على الإفراد لتحقيق الإيقاع مع ما سبقها وما لحقها "عميانا، إماما، سلاما".

ومثله ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[7]، ذكر الزركشي عن ابن سيّده « عضدا أي:

---

[1] – فصلت آية 11.

[2] – الزمخشري، الكشاف، ج3، ص446.

[3] الفرقان آية 74.

[4] – ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17،ص78./ الطبري، جامع البيان، ج27، ص113.

[5] – غافر آية 67.

[6] – الزمخشري، الكشاف، ج3، ص102.

[7] – الكهف آية 51.

أعضـــادا، وإنّما أفرد ليعدل رؤوس الآي بالإفراد»[1].

ولو جاءت الفاصلة جمعًا لذهب ذلك الإيقاع، والفواصل في هذا الموضع "بدلا، عـــضدا، موبقا "ولو قيل: أعضادا لصعبت في النّطق ولذهب الإيقاع لوجود المدّ فيها وخلو الفواصل منه، فلاءم ذلك لفظ المفرد للتناسب .

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾[2] .

والسؤال هنا لِمَ وحَّد تعالى كلمة "النّهر" في هذه الآية و لم يجمعه مع "أن الجنات" قبله جمع بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم فإنّه إذا جمع الجنّة جمع النّهر أيضا فيقول : « جنات تجري من تحتها الأنهار» ؟

والجواب أنه جمع في لفظ "النّهر" عدة معانٍ وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: "أنهارا".

قال الفراء : «الأصل "الأنهار"، وإنما وحد لأنه رأس آية، فقابل بالتوحيد رؤوس هذه الآية، ويقال النّهر الضياء والسعة »[3].

وأغلب المفسّرين اتّفقوا على أنّ سبب ورودها بهذا الشكل هو موافقة لرؤوس الآي[4].

وعلاوة على أن فواصل الآيات تقتضي الإفراد لا الجمع، لأن آيات السورة على هذا الوزن، فقد جاء قبلها "الزبر، مستطر" وجاء بعدها "مقتدر"، فإن المعنى أيضا يقتضي ذلك من جهـــات أخرى منها : أن النهر اسم جنس بمعنى الأنهار وهو بمعنى الجمع[5] وقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة .

وجاء في معاني القرآن للفرّاء : « ونهر معناه أنهار، وهو في مذهبه كقولـــه ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ

---

[1] ـ الزركشي، البرهان، ج1، ص64.

[2] – القمر آية 54.

[3] – الفراء، معاني القرآن، ج3، ص108.

[4] – ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص126./ الطبري، جامع البيان، ج27، ص113/ روح المعاني، الألوسي، ج27، ص75..

[5] – أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص49 . / الزمخشري، الكشاف، ج4، ص42 .

وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[1]، وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون : آتينا فلانا فكنّا في لحمة ونبيـــذه، فوحّد ومعناه الكثير »[2] .

ومنها : أن معاني النهر أيضا السعة، والسعة هنا عامة تشتمل سعة المنازل وســـعة الـــرزق والمعيشة وكل ما يقتضي تمام السعة فيه، جاء في البحر : « ونهر سعة في الأرزاق والمنازل »[3].

ومنها من معاني النهر أيضا الضياء، جاء في لسان العرب "وأما قوله عـــز وجـــل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ فقد يجوز أن يعني السعة .

والسعة والضياء، يعني به النهر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجمع[4].

وهذه المعاني كلّها مرادة ومطلوبة، فإنّ المتقين في جنات وأنهار كثيرة، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السّعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة .

وهذا عينه ما أشار إليه الدكتور فاضل السامرائي حين قال: «فانظر كيف جمعـــت هـــذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال : "أنهار" فإنّها لا تعني إلا شيئا واحدا»[5].

ه-إحلال الجمع محل المفرد :

قال تعالى : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾[6].

«فإن المراد ولا خلّة بدليل الآية الأخرى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[7] .

---

[1] -القمر آية 45.

[2] - الفراء، معاني القرآن، ج3، ص111.

[3] - أبو حيان، مصدر سابق، ج10، ص49.

[4] -ينظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة" نهر"، ج7، ص96 . / وينظر :الزمخشري، الكشاف، ج4، ص42.

[5] - فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، دار عمار، الأردن ط5، (1430 هـــ - 2009)، ص160.

[6] - إبراهيم آية 31.

[7] - البقرة آية 254.

فجمعت في الآية الأولى لأجل مناسبة رؤوس الآيات »[1].

وبذلك حدث تناسب إيقاعي وجمال موسيقي ناتج عن تلازم الألفاظ في نهايات الآيات "النار، خلال، أنهار ".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - الزركشي، البرهان، ج1، ص64.

المبحث الثالث: صرف ما لا ينصرف .

الاسم في العربية معرب[1] ومبني[2]، والمعرب منه قسمان : منصرف وغير منصرف، فالمنصرف هو الذي يقبل التنوين لغير مقابلة أو تعويض، ويرفع بالضمة وينصب بالفتحة، ويجر بالكسرة، أما الاسم غير المنصرف فهو الاسم الذي لا ينون ويجرّ بالفتحة بدل الكسرة .

وهذا النوع من الأسماء يسمى الاسم الممنوع من الصرف، وقد وضع النحاة له ضوابط تبين متى يمنع الاسم من الصرف، وبيّنوا أنّ سبب المنع إمّا علة واحدة وإمّا علتان اثنتان مجموعتان، فالعلة الواحدة تتمثل في ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة، وسواء أكان الاسم مفردا أم مجموعا، علما أم غير علم، وأمّا العلة الثانية فهي صيغة منتهى الجموع .

وأمّا سبب المنع الثاني الذي تكون فيه علتان فهما العلمية والوصفية .

ولا يصرّف الممنوع من الصّرف إلا إذا أضيف أو دخلته "ال التعريف"، والسبب في ذلك أنّه بالإضافة وبالتعريف بـ "ال" يضعف عن شبهه بالفعل بدخول ما هو من خصائص الأسماء فيتمكن من الاسمية مبتعدا عن أي شبه له بالفعلية .

ويجوز صرف الممنوع من الصرف وتنوينه في حالتين هما :[3]

الحالة الأولى : الضرورة الشعرية وما في حكمها فيضطر الشاعر بسببها إلى تنوين الاسم، ككلمة "محاسن" في قول الشاعر :

إنّ الّذي مَلَأَ اللّغاتِ مَحاسِناً * جَعَلَ الجَمالَ وَسَرَّهُ في الضّادِ.**[4]

ويتبع هذا جره بالكسرة بدل الفتحة في حالة الجر، ككلمة "عنيزة" في قول امرئ القيس :

---

[1] – الإعراب هو أن تختلف أواخر الكلمات لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا.(ينظر :صبيح التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الشهاب، باتنة، الجزائر،ج1،ص32).

[2] – البناء هو لزوم آخر الكلمة صورة واحدة فلا تتغير بدخول العوامل المختلفة لغير سبب.(التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج1،ص34).

[3] – ينظر:عباس حسن، النحو الوافي، ج4، ص110-111.

[4]– البيت من بحر الكامل ، لأحمد شوقي، ينظر الشوقيات, دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: (01)، دت، مج: 01، ج: 01، ص: 116.

إنّ الّذي مَلَأَ اللّغاتِ مَحاسِناً * جَعَلَ الجَمالَ وَسَرَّهُ في الضّادِ.**[1]

فقد دخل الجرّ والتنوين في كلمة "عنيزة" لضرورة الشعر .

الحالة الثانية : مراعاة التناسب في آخر الكلمات المتجاورة، أو المختومة بسجعة أو بفاصلة في آخر الجمل، لتشابه في التنوين من غير أن يكون له داع إلا هذا، لأن للتناسب إيقاعًا عذبًا على الأذن، وأثرا في تقوية المعنى وتمكينه في نفس السامع والقارئ، يقول ابن مالك في التسهيل: «يصرّف ما لا ينصرف في التناسب ».[2]

ومن أمثلة صرف ما لا ينصرف في معهود الاستعمال اللغوي الوارد في سياق الفاصلة القرآنية، قراءة "نافع وعاصم والكسائي" لقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾[3].

فقد صرّفت كلمة "سلاسلَ "في هذه الآية، والأصل فيها أنّها ممنوعة من الصرف لكونها صيغة منتهى الجموع، وهذه الصيغة- كما أشرنا سابقا – ممنوعة من الصرف لعلّة واحدة، ولكنها صرفت في هذه القراءة « لأجل التناسب بينها وبين أغلالا في التنوين ».[4]

وقال الفرّاء : « كتبت سلاسل بالألف وأجراها بعض القرّاء لمكان الألف التي في آخرها، ولم يجر بعضهم، وقال الذي لم يُجرِ : العرب تثبت فيها ما لا يجري الألف في النصب، فإذا وصلوا حذفوا الألف، وكلّ صواب »[5] .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾[6].

---

(1)- البيت من بحر الكامل ، لأحمد شوقي، ينظر الشوقيات, دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: (01)، دت، مج: 01، ج: 01، ص: 116.

2 – ابن مالك، تسهيل الفوائد، تحقيق :محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2(2009م)، ص223.

3 – الإنسان آية 4.

4 – السيوطي، الأشباه والنظائر، ج1، ص448..

5 – الفراء، معاني القرآن، ج3، ص216.

6 الإنسان آية 15-16.

حيث قرأ البعض بتنوين كلمة "قواريرَ" الممنوعة من الصّرف، قال الدمياطي : «"فنافع وأبو بكر والكسائي وأبو جعفر" قرؤا بتنوينهما معا، لأنّهما كسلاسل جمعا وتوجيها، غير أن السلاسل على مفاعيل، ووقفوا عليهما بالألف للتناسب، وقرأ ابن كثير وخلق عن نفسه بالتنوين في الأول وبدونه في الثاني مناسبة لرؤوس الآي »[1].

وقال الفرّاء في هذه الآية : « أثبتت الألف في الأولى لأنها رأس آية والأخرى ليست بآية، فكانت ثبات الألف في الأولى أقوى لهذه الحجة »[2] .

ثمّ يعلّل سبب قراءة الإثبات فيهما جميعا فيقول : « وكأنّهم استوحشوا أن يكتب حرف واحد في معنى نصب كتابين مختلفين، فإن شئت أجريتهما معا، وإن شئت لم تجريهما معا»[3].

وتحدّث القرطبي عن القراءات في الآيتين السابقتين وناقشهما من خلال القراءات ورسم المصحف ثم قال: « فمن صرّف فله أربع حجج :

أحدها: أنّ الجموع أشبهت الآحاد فجمعت جمع الآحاد فجعلت في حكم الآحاد فصرّفت.

والثانية: أنّ الأخفش حكى عن العرب صرف جميع مالا ينصرف إلا "أفعل منك"، وكذا قال الكسائي والفراء، هو على من يجر الأسماء كلها إلا قولهم هو أظرف منك فإنّهم لا يجرونه، وأنشد ابن الأنباري في ذلك قول عمرو بن كلثوم:

كَأَنّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ * مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا.**[4]

فصرّف مخاريق ومغاليق ورغائب، وسبيلها ألا تصرّف.

والحجة الثالثة: أن يقول نونت قوارير الأول لأنه رأس آية، ورؤوس الآي جاءت بالنون، كقوله عزّ وجلّ "مذكورا" "سميعا بصيرا" فنون الأول ليوقف بين رؤوس الآي، ونون الثاني على الجوار للأول.

---

[1] – شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (1422هـ-2001م)، ص565-566.

[2] – الفراء، معاني القرآن ، ج3، ص216.

[3] – الفراء، المصدر نفسه، ج3، ص216

[4] – البيت من بحر الوافر، لعمرو بن كلثوم، ينظر الديوان، ص: 76

والحجة الرابعة: إتباع المصاحف »[1].

وعليه فقد نوّنت كلمة "قوارير" الأولى لمراعاة التنوين في آخر الجملة التي قبلها، ومراعاة لآخر الجملة بعدها، ونونت كلمة" قوارير" الثانية لمراعاة الأولى، ولمراعاة نهاية الآية السابقة، فإنّها منونة أيضا.

ووجه المنع من الصرف عند الزجاج وغيره « أنّه الاختيار عند النّحويين البصريين، لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا يصرّف ... ومن قرأ "قوارير" فصرف الأول فلأنه رأس آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بآخر آية، ومن صرف الثاني أتبع اللفظ اللفظ، لأنّ العرب ربما غلبت إعراب الشيء ليتبع اللفظ اللفظ... »[2].

قال السامرائي :« فأطلق "قواريرا" الأولى بالألف، وكان حقها ألا تطلق لأنها ممنوعة من الصرف، ومن دواعي ذلك أنه أطلق الصوت فيها مناسبة لإطلاق جنسها ونوعها، فهو لم يبين نوع القوارير ولا من أي جنس هي فأطلقها لذلك، ولما قيد جنسها في الآية التي تليها قال "قوارير" لم يطلقها، هذا علاوة على رعاية الفاصلة، فزادها ذلك حسنا على حسن »[3]

وهذا معناه أن قراءة المنع من الصرف قد جاءت جارية على مألوف الاستعمال ومعيارية اللغة، أما قراءة الصرف وإثبات الألف فقد عدلت عن ذلك المألوف، ليتحقق تناسب الإيقاع الصوتي بين رؤوس الآي، وعضد هذا الوجه موافقة قراءته للسواد من رسم المصحف، الذي راعت كتبته ذلك الملحظ القرآني في كثير من المواضع.

---

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص123-124.

[2] – الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص260. / وينظر: الفراء، معاني القرآن، ج3، ص216./ النحاس، إعراب القرآن، ص101.

[3] – السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص39.

المبحث الرابع: الاستغناء ببعض الصيغ و التراكيب عن غيرها للفاصلة:

نعني بالاستغناء إيثار صيغة أو تركيب ما على غيره للفاصلة، وهذا الاستغناء ليس أمرا قياسيا يمكن تحديده بأنّه كان ينبغي كذا فجاء على كذا وفق الشائع المعلوم من لغة العرب، وإنّما نعني بالاستغناء هنا الاختيار من خيارات عديدة ممكنة، كان من الجائز- وفق استعمالنا البشري للّغة- التبادل بينها، و لكنّ القرآن الكريم المعجز بطبيعته وبلغته لا يمكن أن يبدل منه حرف أو كلمة مكان غيرها، بل ينبغي لنا أن نمعن النظر بالبحث في أشكال التعبير فيه لما جاءت هكذا، وما الفرق بين هذا التعبير وغيره ... ويبدو لنا أن هذا من باب تدبّر القرآن و التّفكر فيه، و هو أمر قرآني وارد في آيات كثيرة، ولون من ألوان البحث في هذا الكتاب الخالد.

والاستغناء يغلب أن يكون اختيارا قليل الاستعمال يؤثر على غيره مما هو شائع مستعمل في القرآن أو لغة العرب، ولاشكّ أنّ ما يلجئ إلى القليل النّادر مؤثرًا إيّاه على الكثير الشائع أمر يستحقّ الدّرس السّياقي لتتبع ذلك والبحث عن دلالته.

1- إيثار بعض صيغ المبالغة على بعض:

صيغ المبالغة كثيرة في العربية ولكنّ النّحاة ذكروا منها خمسا شائعات دائرات في العربية هنّ : فَعِيل، فَعُول، فَعَّال، مِفْعَال، فَعِل.

ولكن ثمّة صيغ أخرى نادرة الاستعمال منها: فَاعُول، مِفْعَل، فُعَال،[1] .

وممّا ورد من هذه الصيغ النادرة في الفاصلة القرآنية قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[2]، حيث أُوثرت صيغة المبالغة "عُجَاب " الّتي على وزن "فُعَال" على صيغة "عجيب "الّتي على وزن "فعيل" الشّائعة في الاستعمال اللّغوي .

والملاحظ أنّ هذه الصيغة "فَعِيل " وردت فاصلة في موضعين هما:

قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ

---

[1] ــ ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج3، ص 153.

[2] ــ ص آية 5 .

عَجِيبٌ ﴾[1]، وقوله: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[2] .

والفواصل في الآيتين الأخيرتين جاءت على صيغة "فَعِيل"، فهي في سورة هود :" يعقوب، عجيب، مجيد"، وفي سورة ق: " مجيد، عجيب، بعيد"، حيث إنّ حرف المدّ قبل الفاصلة هو الياء أو الواو، وهذان الحرفان يتعاقبان كثيرا في الفواصل ولا يتعاقبان مع الفواصل إلّا نادرا .

وأمّا الفواصل في موضع "عُجَاب" فهي :"كذّاب، عُجَاب، يُرَاد"، وكلّها بالألف قبل الفاصلة.

وكلّ ذلك مراعى فيه التّوافق الصّوتي والإيقاع الجميل في كلّ موضع.

على أنّ لاستعمال "عُجَاب" نكتة أخرى زائدة على "عجيب"، «حيث إنّ امرأة إبراهيم أخبرت بتعجّبها من الولادة وكبر سنّ زوجها، وأخبر الكافرون بعجبهم أن يكون من البشر رسول، وليس من الملائكة، ولكنّهم في "ص" اشتدّ عجبهم من أن تكون الآلهة المتعدّدة باطلة، وأن يكون هناك إله واحد لا إله غيره، فلمّا زاد عجبهم ناسبهم استعمال صيغة أكثر مبالغة في الوصف وهي عجاب». [3]

وقد جاء في التحرير والتّنوير أنّ :« صيغة " عُجَاب " وصف للشّيء الّذي يتعجّب منه كثيرا، لأنّ وزن "فُعَال" بضمّ أوّله يدلّ على تمكّن الوصف مثل طُوال بمعنى المفرط في الطّول، وكرام بمعنى كثير الكرم، فهو أبلغ من كريم، وقد ابتدأوا الإنكار بأوّل أصل من أصول كفرهم»[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾[5].

والمعتاد في الفواصل استعمال صيغة كبير للمبالغة، والفواصل هنا " خسارا، كبّارا"، ولذا

---

[1] ــ هود آية 72.

[2] ــ ق آية 2 .

[3] ــ السيّد خضر، فواصل الآيات القرآنية، ص 122.

[4] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص 144.

[5] ــ نوح آية 21-22.

أُوثرت صيغة "فُعَّال" المشدّدة على "فُعَال" المخفّفة في المبالغة .

و«كُبَّار: مبالغة أي كبير جدًّا، وهو وارد بهذه الصّيغة في ألفاظ قليلة مثل طُوَال أي طويل جدّا، وعُجَاب أي عجيب ».[1]

وجاء في الكشّاف: « الكُبَار أكبر من الكبير، والكُبَّار أكبر من الكُبَار »[2].

وبذلك أوثرت صيغة "فُعال" لتحقيق التوافق مع باقي الفواصل من جهة ولتثري الجانب الدّلالي من جهة أخرى.

2- إيثار جمع تكسير على آخر:

وأوضح مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾[3].

لقد ورد لفظ "القبور" في القرآن الكريم خمس مرّات منها أربع في الفواصل، وورد لفظ "المقابر" مرّة واحدة هي المذكورة في هذه الآية.

وهذا لون من تنويع الكلام يأتي في كلام البلغاء من البشر، كما يأتي في أبلغ كلام وأجمله وهو القرآن الكريم .

والملاحظ أنّ الفاصلة في سورة التّكاثر لا يتحقّق فيها الإيقاع بلفظ "القبور"، وإنّما يتحقّق بلفظ "المقابر"، لأنّ الفاصلة قبله "التّكاثر" وكلا اللّفظين جمع تكسير.

وكلمة المقابر «جمع مقبرة بفتح الموحّدة وضمّها، والمقبرة الأرض الّتي فيها قبور كثيرة»[4].

والقبور جمع قبر، فيكون بذلك لفظ" المقابر" بما حقّقه من جرسٍ وإيقاعٍ لفظيٍّ أبلغ دلالة من "القبور"، وذلك في تصوير تكالب أهل الدّنيا عليها وتفاخرهم بما ليس مجالا للفخر، بل يصيرون هم ومن افتخروا بهم جميعا إلى مآل واحد هو المقابر.

---

[1] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج29، ص 192.

[2] ــ الزمخشري، الكشّاف، ج4، ص 164.

[3] ــ التكاثر آية 1-2.

[4] ــ ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج30، ص 458.

3- إيراد الجملة الّتي رُدَّ بها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية:

كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

« فلم يطابق بين قولهم "آمنّا" وبين ما رُدّ به فيقول: "و لم يؤمنوا" أو "ما آمنوا لذلك »[2]، أي أنّ الجملتين جاءتا غير متطابقتين، وذلك لأجل مراعاة الفواصل.

4- إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر:

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[3]، «و لم يقل: الّذين كذبوا»[4]، حيث تقتضي المقابلة بين "الّذين صدقوا" أن يكون ختام الآية" الّذين كذبوا"، ولكنّ ذلك لا يحقّق الإيقاع في الفاصلة، ولذا أُوثر اسم الفاعل "الكاذبين" على الاسم الموصول "الّذين كذبوا "رعاية للفاصلة وتحقيقا للتّناسب الإيقاعيّ فيها.

ومن ذلك أيضا إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى، نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[5]

5- إيثار أغرب اللّفظين:

إن المقصود بالغريب هو: « الغامض من الكلام »[6]، و «اللّفظة الغريبة هي المنكرة النّافرة الشاذّة» [7].

والحقيقة أنّ الغرابة مسألة نسبية، فما هو غريب في عصر كان مشهورًا في العصر الّذي سبقه، وما هو غريب في قبيلة يمكن أن يكون مألوفاً أو متداولاً في قبيلة أخرى، و لم يجد الصحابة -رضوان الله عليهم-عندما نزل القرآن الكريم عناءً في فهمه لنقاء الألسنة و غلبة الفصاحة،

---

[1] ــ البقرة، آية8.

[2] ــ السيوطي، الإتقان، ج2، ص 127.

[3] ــ العنكبوت آية 3.

[4] ــ السيوطي، المصدر نفسه، ج2، ص127.

[5] ــ البقرة آية177.

[6] ــ ابن منظور، لسان العرب، مادة "غرب"، تحقيق: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، ط1، (1427هـ-2006م)، ج10، ص30.

[7] ــ الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 71.

وعندما كانوا يجهلون معنى لفظة فإنهم يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم فيزول اللبس ويتضح المعنى [1].

فالغرابة في الألفاظ إذن ليست ذاتية، بحيث يولد اللّفظ غريبًا بل إنّ مقياس الفصاحة هو كثرة الاستعمال أو قلّته أو الألفة النّاشئة من دوران اللّفظ في الحياة أو قلّة حركته فيها، ومن ثمّة نجد ألفاظا تستعمل كثيرا وتدور في الحياة وأخرى على خلاف ذلك فتسمّى غريبة .

وقد جعلوا من ذلك لفظ "ضيزى" في قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾[2].

والملاحظ أنّ هذه اللّفظة ليست غريبة من النّاحية اللّغويّة لسببين:

أوّلهما: أنّ البناء الصّرفيّ للّفظة معهود في العربية فهي صفة مشتقّة من الفعل ضَازَ، يَضِيزُ إذا ظلم، فيقال عند الوصف ضِيزَى وضُوزَى[3]، والأصل في وزن ضيزى هو فُعلى. إنّما كسرت الضّاد لتسلم الياء، كما قالوا في جمع أبيض، بِيض وليس بُوض، لأنّ أسود تجمع على سُود. [4]

ثانيهما: لا يمكن وصفها بما توصف به الألفاظ الغريبة في كلام العرب من حيث الشّذوذ أو ثقلها على السّمع أو نفور الذّوق منها.

وهكذا يكون لهذه اللّفظة موقعها المناسب ودورها البارز في السّياق القرآنيّ.

وقد عدّها ابن الأثير من الألفاظ الغريبة التي حسنت بحسن موقعها، لأنها جاءت على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسدّ مسدّها فلو قلنا مثلا :"ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذاً قسمة ظالمة "لم يكن النّظم كالنّظم الأول، وكان الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام. [5]

وقد نظر الرّافعيّ في هذه الكلمة نظرة عميقة حين قال: « وفي القرآن لفظة غريبة هي

---

[1] ــ عبد العال سالم مكرم، من الدراسات القرآنية، القاهرة، ط1(2002م)، ص 125،124.

[2] ــ النجم آية21-22.

[3] ــ ابن منظور، لسان العرب، مادة "ضيز"، ج8، ص98.

[4] ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص89.

[5] ــ ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص62.

أغرب ما فيه وما حسنت في كلام قطّ إلا في موقعها منه وهي كلمة ضيزى من قوله تعالى :"**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**"، ومع ذلك فإنّ حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أوردت اللّغة ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها، وهي سورة النجم، مفصّلة كلّها على الألف، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل » .[1]

ثمّ يعلّل الرّافعيّ الأبعاد العميقة الّتي توائم بين الفاصلة والسّياق في وضع هذه الكلمة فيقول: «ثمّ هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد فإنّهم جعلوا الملائكة بنات اللّه مع وأدهم البنات... فكانت غرابة اللّفظة أشدّ الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة الّتي أنكرها، وقد جمعت إلى ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللّفظية"»[2].

فهذه اللّفظة استدعت الغرابة في اللّفظ ليوافق المبنى المعنى، لذا أوثرت لفظة "ضيزى" على غيرها لما لها من أثرٍ معنويّ ولفظيّ في آن واحد.

ومثال ذلك أيضا إيثار لفظ "الحطمة"على لفظ "النار" أو"جهنّم" في قوله تعالى : ﴿ **كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ**[4] ﴾[3]،وذلك لأن الفواصل في السورة كلها على حرف "الهاء"، فجيء بلفظ "الحطمة" بدلا من الألفاظ الأخرى لأن الإيقاع يتحقق بهذا اللفظ دون سواها من الألفاظ .

غير أن هذا اللفظ نفسه يحمل معنى جديدا إضافة إلى ما يحمله لفظ "النار"،وهو معنى كلمة الحطمة التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها. [4]

ومن ذلك أيضا إيثار لفظ "سقر" على لفظ "النار" أو "جهنم"، في قوله تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾[5].

والفواصل رائية، ولفظ "سقر"يحقق الإيقاع، وفيه كذلك معنى الحرارة الشديدة، قال

---

[1] ــ الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 261.

[2] ــ الرافعي، المرجع نفسه، ص 261.

[3] ــ الهمزة آية 4.

[4] ــ ينظر : الزمخشري، الكشاف، ج4، ص284 ./والألوسي، روح المعاني، ج16، 316.

[5] ــ المدثر آية 26-27-28-29..

الراغب: «سقر من سقرته الشمس، وقيل سقرته أي :لوّحته و أذابته....» [1]

6- عدول بعض الكلمات عن أصلها الصّرفي أو تغيير بنية الكلمة:

وذلك لتتواءم مع رؤوس الآي وحركة الفواصل، يقول السّيوطي: « الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين الّذين قُرئ بهما في السّبع في غير ذلك، كقوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴾[2]، و لم يجئ رشْدًا في السّبع، وكذا ﴿ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ [3] لأنّ الفواصل في السّورتين بحركة الوسط، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ ﴾ [4] وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التّحريك بالإجماع عليه فيما تقدّم » [5].حيث جاءت الكلمة ساكنة الوسط.

ونظير ذلك قراءة : ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ ﴾ [6]،« بفتح الهاء و سكونها، و لم يقرأ: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ [7] إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة »[8].

وقد راعى القرآن الكريم –وهو المعجزة الكبرى- فصاحة العرب وبيانهم في التّعامل مع العربيّة، ويبدو ذلك جليّا في تعامل العرب مع الفواصل القرآنية، فها هي ذي الفاصلة تكون مطواعة للفواصل السّابقة عليها واللّاحقة بها في الحركات كما في آية سورة القمر: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[9] حيث جاءت الفواصل محتفظةً بحركاتها في جميع فواصل الآيات .

فقد روي أن: « أعرابيا سمع رجلا يقرأ : ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ بفتح

---

[1] ــ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق :مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض، ط1(1430هـ-2009م)، ص305.

[2] ــ الجن آية14.

[3] ــ الكهف آية 10.

[4] ــ الأعراف آية 146.

[5] ــ السيوطي، الإتقان، ج2، ص 127.

[6] ــ المسد آية 1.

[7] ــ المسد آية3.

[8] ــ السيوطي، المصدر نفسه، ج2، ص127.

[9] ــ القمر آية14.

الكاف، فقال الأعرابي بفطرته التي لا تقبل التّنافر أو النّشاز :لا يكون ...،فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء، فقال الأعرابي :يكون ».[1]

ومثال تغيير بنية الكلمة لأجل الفاصلة قوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [2] ."والأصل سيناء"[3]، وقيل : " طور سينين" جبل. وقرأ بعضهم " وطور سيناء"، وهذا القول أشبه لقوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [4]،[5] ورأى النحّاس أنّ: "طور سينين هي طور سيناء جاءت بلغات".[6]

وبمجيء سينين مكان سيناء حصل توافق تنغيمي ناتج عن تلاؤم الفواصل في "سينين، الأمين".

7- الجمع بين المجرورات:

ومن الضّرورات الّتي التزمت في التّراكيب اقتضاء للمناسبة الجمع بين المجرورات نحو قوله تعالى:﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [7] .فإنّه قد توالت المجرورات بالأحرف الثّلاثة وهي: اللّام في" لكم"، والباء في "به"، وعلى في" علينا".وكان مقتضى قواعد العربية الفصل بينها. [8]

لكنّ التّعبير القرآني فضّل ترك الفصل بين تلك الرّوابط لأنّ فواصل السّورة كلّها منصوبة منوّنة فلم يكن بدّ من تأخير كلمة تبيعا لتكون هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها وما بعدها، حتّى تتناسق السّورة كلّها على صورة واحدة وإيقاعٍ واحد.

---

[1] ــ الجاحظ، البيان و التبيين، ج2، ص174.

[2] ــ التين آية 2.

[3] ــ السيوطي، الإتقان، ج2، ص128.

[4] ــ المؤمنون آية 20.

[5] ــ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه،ج5،ص262.

[6] ــ النحاس، إعراب القرآن،ج3،ص508.

[7] ــ الإسراء آية69.

[8] ــ الزركشي، البرهان، ج2،ص62.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد أن أخذت بكثير من أسباب الموضوع دراسة ومتابعة، خلصت إلى نتائج استدعاها البحث، هذه النتائج أراها آفاقا لتصيد شاردة، أو تصويب رأي، أو تأسيس فكرة، وهي جميعها في الأخير وسائل لتفعيل الصيغ والظواهر النحوية قرآنيا بآليات تمد تلك الظواهر والمباحث بالقوة والدفع الكامنين في النص القرآني، وأبرز هذه النتائج مايأتي:

ـــإن المقصود بالفاصلة القرآنية كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النّثر، بمعنى توافق حروف الآي في حروف الروي أو في الوزن بما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس.

ـــ إنّ مفهوم مصطلح الفواصل من الوجهة البلاغية يشبه إلى حدّ ما مدلول قافية البيت من الشعر وقرينة السجع من النّثر، من حيث تماثل حروفها أو تقاربها في المخرج ، ولكنّ تسمية الفواصل تختص بأواخر الآي لأمر عقدي بحت، يتصل بتنزيه القرآن الكريم عن أن يكون شعراً أو يكون نثراً.

ـــ كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ واللّين وإلحاق النون، لما لهذه الحروف من تأثير صوتي ينبعث عنه إحساس بالجمال الإيقاعي الذي يدرك تأثيره المباشر على النفس.

ـــ الفواصل القرآنية مرتبطة دلالياً مع الآيات والتراكيب التي وردت فيها، إذ ما من فاصلة إلا وتؤدي مؤداها المنوط بها من جهة اللفظ ومن جهة المعنى على أساس أنّ لها جانبيه؛ جانب معنوي دلالي، وجانب لفظي إيقاعي.

ـــ للفاصلة القرآنية أثر جليّ في توجيه كثير من القضايا النّحوية والصّرفية، فقد تصرّف القرآن في تراكيب الآية وأحوالها ، كما تصرّف في تغيير الألفاظ المفردة وأبنيتها.

ـــ إنّ النظام المثالي للغة العربية في ترتيب مفرداتها ليس جامدا لا يمكن تغييره بل هناك تغيّرات تطرأ على طريقة الترتيب لرعاية الفاصلة، بحيث يقدم منها ما كانت رتبته التأخير ، ويتأخر ما كانت رتبته التقديم.

ـــ التقديم والتأخير في النّظم القرآني يجمع بين الوظيفتين الجمالية والدلالية على السّواء لأنهما متكاملان.

ـــ ظاهرة الحذف في التعبير القرآني من أكثر الظواهر التعبيرية التصاقا بالقيم الصوتية التي تحمل بعداً إيقاعيا غاية في الجمال، خاصة إذا كان هذا الحذف ينمّ عن تناسق فنّي لإيقاع اللّغة التي تحققها الفواصل .

ـــ الحذف المتصل بالفواصل يكون على نوعين: نوع يتصل بالصيغ ناتج عن الناحية الإعرابية أو الناحية الصّرفية كحذف حروف العلة وحذف التنوين...ونوع يتصل بالتراكيب كحذف المبتدأ أو الخبر، وحذف الفاعل أو المفعول...

ـــ الزيادة النّحوية أحد أشكال العدول عن أصل التركيب في اللّغة، وهدفها كسر النّمط المثالي لقاعدة اللّغة من أجل خلق الأثر الجمالي والأسلوبي بما يعتوره من أسرار دلالية، وذلك بزيادة بعض الحروف لتحقيق التوافق الصّوتي في أواخر الآيات.

ـــ التضمين ظاهرة لغوية تدل على سعة اللغة ومرونتها ، يقع في الحروف كثيرا كما يقع في الأفعال والأسماء في القرآن الكريم، فقد يوضع فعل موضع آخر أو مصدر موضع آخر، أو صيغة محلّ أخرى لأجل تحقيق أغراض بلاغية من جهة، وجمالية من جهة أخرى,

ـــ الفاصلة القرآنية تؤثّر في الصّيغ الصّرفية فقد ترد في القرآن صيغ مخالفة لمألوف الاستعمال ، كوضع المذكر محلّ المؤنث أو العكس، أو وضع المثنى محلّ الجمع، أو الجمع محلّ المفرد...

ـــ يلجأ التعبير القرآني لتحقيق المناسبة إلى صرف ما لا ينصرف أو تغيير بنية الكلمة أو إيثار صيغة مبالغة على أخرى....

هذا ما وفقنا الله تعالى لدراسته في هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن الحكيم العليم وما كان فيه من خلل فمن نفسي ومن زلل الشيطان، وأسأل الله ﷻ أن يقيل عثرتي، وأن يعفو عن زلّتي.

الفـــهارس العامـــــة:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهـــرس الشـواهد الشـعرية.
- ثبـــت المصـادر والمـــراجـــع.
- فهـــرس الـمحـــتـــــويات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	5	27
سورة البقرة		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	8	143
﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	15	50
﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾	41	6
﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	60	50
﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	87	108
﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾	88	43
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ...﴾	98	11
﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾	124	26
﴿ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	143	27
﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾	150	46
﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ ...﴾	166	49
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	171	52
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	177	143
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	187	73
﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ ...﴾	187	73
﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾	196	74

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾	219	42
﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾	234	59
﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾	259	74
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم ...﴾	254	134
سورة آل عمران		
﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾	70	61
سورة النساء		
﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ...﴾	3	12
﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾	61	51
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ﴾	155	83
سورة المائدة		
﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾	70	108
سورة الأنعام		
﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾	03	79
﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾	65	99
سورة الأعراف		
﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	3	43
﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	10	43
﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	43	118
﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	52	2
﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾	105	106
﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾	146	146
﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾	160	75
﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾	170	111

﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	176	99
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾	179	75
التوبة		
﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾	70	39
﴿ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾	104	105
سورة هود		
﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ﴾	64	46
﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ... ﴾	69	12،55
﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ... ﴾	72	141
﴿ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾	108	12
﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴾	105	72 ،4
سورة يوسف		
﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ ﴾	8	77
﴿ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾	46	99
﴿ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾	62	99
﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ ... ﴾	90	110
﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ﴾	100	103
سورة الرعد		
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾	9	69،65
سورة إبراهيم		
﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾	31	134
النحل		
﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾	30	55 ،54
﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾	68	119 ،118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَهَدَيْنَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	121	118
الإسراء		
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ...﴾	45	116
﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾	69	147
﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾	93	33
الكهف		
﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾	10	146
﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾	19	75
﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ...﴾	33	49
﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾	34	78
﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾	51	132
﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾	100	51
مريم		
﴿مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا مِنِّى﴾	4	73
﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾	28	71
﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾	61	117
﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾	74	131
طه		
﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾	7	78
﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	44	98
﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾	67	37
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾	71	107 ،106

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	73	78
﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾	92	12
﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾	102	50
﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾	110	79
﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾	117	129
﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	127	78
﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾	131	78
الأنبياء		
﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾	77	105
الحج		
﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾	5	13
المؤمنون		
﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾	14	75
﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾	20	147
﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾	66	44
الفرقان		
﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامٗا﴾	74	132
الشعراء		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ...﴾	14-12	66
﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾	18	47
﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ...﴾	73-72	64
﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ...﴾	81-75	67
﴿وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾	148	124
النمل		

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	62	43
القصص		
﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ... ﴾	30	72
العنكبوت		
﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾	03	143
﴿ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾	58	75
الروم		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	48	109
الأحزاب		
﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾	4	96
﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾	11-10	7، 94، 96، 131
﴿ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ ﴾	26	108
﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ ﴾	66	67، 94، 96
فاطر		
﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ ... ﴾	9	31
﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا ﴾	37	96
يس		
﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ... ﴾	27-26	61
﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾	37	27
﴿ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾	42	61
الصافات		
﴿ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	163	72
ص		
﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾	05	140

﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾	8	66
﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾	14	68
﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَاجٌ ﴾	58	13
الزمر		
﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾	64	29
غافر		
﴿ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾	32	65
﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ... ﴾	72-71	48
فصلت		
﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾	11	118، 132
﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ... ﴾	51	11
الشورى		
﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾	17	97
الجاثية		
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ ... ﴾	25	33
ق		
﴿ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾	2	141
﴿ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٌ ﴾	3	32
﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾	4	32
﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴾	5	13
﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾	6	13
﴿ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾	7	13
﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ ۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾	11	13
﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾	42	13

الذاريات		
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾	7	13
﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾	8	12
﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾	9	13
النجم		
﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾	5	36
﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ... ﴾	22-21	144
﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾	43	63
﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾	62	13
القمر		
﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾	6	72
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾	14	146
﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾	16	30، 37، 39، 68
﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾	20	124، 125
﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾	35	43
﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾	41	37
﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾	45	8
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾	54	133
الرحمن		
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ... ﴾	48-46	129
﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾	48	131
الواقعة		
﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ... ﴾	78-77	10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحشر		
﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً ... ﴾	5	125
الممتحنة		
﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	4	32
التحريم		
﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾	12	123
الملك		
﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾	23	43
القلم		
﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾	3	35
الحاقة		
﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾	7	124، 125
﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾	15	48
﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾	17	38
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ... ﴾	19-29	6- 90، 91
﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾	21	115
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ... ﴾	30-31	40
﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾	32	41
﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾	41	43
﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	42	43
المعارج		
﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾	3	13
نوح		
﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾	13	49

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾	17	114
﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾	18	115
﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ ... ﴾	22-21	141
الجن		
﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴾	14	146
المزمل		
﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾	8	112
المدثر		
﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾	2	64
﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴾	3	39
﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ... ﴾	29-26	145
﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾	30	76 ،74
﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ... ﴾	55-53	122
القيامة		
﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾	14	123
﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾	19	35
﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾	31	110
الإنسان		
﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرٗا ﴾	4	137
﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾	6	105
﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾	16-15	137 ،96
النبأ		
﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾	31	36
النازعات		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾	41	130
الانفطار		
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾	7	13
المطففين		
﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ... ﴾	23-22	45
البروج		
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾	1	13
الطارق		
﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾	6	116
الأعلى		
﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾	17	80 ،78
الغاشية		
﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ... ﴾	26-25	34
الفجر		
﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ... ﴾	4-3	70،65 ،7 131،
﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾	9	69
﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ ... ﴾	16-15	67
﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ... ﴾	26-25	42
الشمس		
﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾	12	130
﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾	13	54
الليل		
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾	5	64
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ... ﴾	13-12	35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ ... ﴾	3-2-1	62
﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ... ﴾	11-9	62 ،11
الشرح		
﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾	1	14
﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴾	2	14
﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ... ﴾	3	14
﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾	4	14
التين		
﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴾	2	147
الزلزلة		
﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ... ﴾	2-1	6
﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾	5	118
العاديات		
﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحًا ... ﴾	3-1	6
القارعة		
﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴾	4	12
﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴾	5	12 ،5
﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ... ﴾	11-9	7
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾	10	131 ،92 ،89
التكاثر		
﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾	2-1	142
الهمزة		
﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴾	4	145
قريش		

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾	1	12
﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾	2	12
﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾	4	12
الكافرون		
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾	6	6
النصر		
﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾	1	11
المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	1	146
﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾	3	146
الإخلاص		
﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾	4	33

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
أَقِلّي اللّومَ عاذِلاً وَالعِتابا *** وَقولي إن أَصَبتُ لَقَد أَصابا	جريـــر	96
أوَحَى لَهَا الْقَرَار فَاسْتَقَرّتْ *** وَشَدّهَا بِالرّاسِيَات الثُّبّت	العجاج	119
إنّ الّذي مَلَأَ اللّغاتِ مَحاسِناً *** جَعَلَ الجَمالَ وَسَرّهُ في الضّادِ	أحمد شوقي	136
وَالمُؤْمِنِ العَائِذَاتِ الطّيْرَ يَمْسَحُهَا *** رُكْبَانُ مَكّةَ بَيْنَ الغَيْلِ وَالسّنَدِ.	النابغة	46
سَيَبْقَىْ لَها فِيْ مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا *** سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تُبْلَىْ السّرائِرُ	الأحوص	56
دِيَارٌ لَهَا بِالرّقْمَتَيْنِ كَأَنّهَا *** مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ	زهير بن أبي سلمى	130
وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكّتَيْنِ تَحَاشَدُوا *** وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ ذِي النّخْلِ	الشريف المرتضى	130
كَأَنّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ *** مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا	عمرو بن كلثوم	138
أَلاَ هُبّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَـــا *** وَلاَ تُبْقِي خُمُـــوْرَ الأَنْدَرِيْنَـــا	عمرو بن كلثوم	93
ليس تخفي يسارتي قدر قومي*** ولقد تخف شيمتي إعساري.	لم أقف على قائله	71
ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْـــزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاَتُ إنّكَ مُرْجِلِي	امرؤ القيس	137
إنّ الحَوادِثَ بِالمَدِينَةِ قَد *** أَوجَعَنَي وَقَرَعنَ مَروَتَيه	ابن قيس الرقيات	91

ثبـــت المصـــادر والمراجـــــع

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

1. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1994م.
2. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965م.
3. أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، كلية الآداب، الرباط، 1992م.
4. أحمد الحملاوي، شذا العـــرف في معرفـــة فـــن الـــصرف، دار الفكـــر، عمـــان، ط1(1421هـــ-2000م).
5. أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، الدار العربية للعلـــوم، بـــيروت، لبنـــان، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1422هـــ-2001م.
6. أحمد شوقي، الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1.
7. أحمد نحلة، مدخل إلى دراســـة الجملـــة العربيـــة، دار النهـــضة العربيـــة، بـــيروت، (1408هـــ-1988م).
8. أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1415هـــ-1994م.
9. أبو اسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عـــالم الكتـــب، بيروت، 1424هـــ-2004م.
10. إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (1404هـــ-1984م).
11. امرئ القيس، الديوان تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5(1425هـــ-2004م).
12. الأنباري، شرح القصائد السبعة الطوال، تحقيق: الـــشربيني شـــريدة، دار الحـــديث، القاهرة، (1431هـــ-2010م).
13. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط2، 1391هـــ-1972م.
14. بدر الدين بن قاسم المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق:

أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط1(2005م).

15. أبو البركات بن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب القاهرة، ط1(1428هـ-2007م).

16. أبو البقاء العكبري إملاء ما منّ به الرحمن، ، دار الفكر.

17. أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق:علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م.

18. أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.

19. أبو بكر بن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين القتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1408هـ-1988م.

20. أبو بكر محمد الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، (1411هـ-م1991).

21. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1994م.

22. بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1418هـ-1998م.

23. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1420هـ-2000م.

24. ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ-2002م.

25. جرير، الديوان، تحقيق: نعمان محمد آمين، طه، دار المعارف، القاهرة، ط3.

26. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي.

27. أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: محمد تامر، محمد رضوان، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ-2007م.

28. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

29. جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1،

1984م.

30. جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد البجـــاوي، دار الفكر، 1969م.

31. جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عالم الكتـــب، القـــاهرة، (1421هـــ-2001م).

32. جمال الدين الفاكهي، شرح الحدود النحوية، تحقيق: محمـــد الطيـــب إبـــراهيم، دار النفائس، بيروت، 1996م.

33. جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1406هـــ-1986م.

34. جمال الدين عبد الله ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تقديم: إميـــل بـــديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2(1430هـــ-2009).

35. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.

36. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبـــة الـــصفا، القاهرة، 2003م.

37. الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـــ-1992م.

38. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 2005م.

39. خالد إسماعيل حسان، في اللسانيات العربيـــة المعاصـــرة، مكتبـــة الآداب، القـــاهرة، 2008م.

40. خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكـــريم، عـــالم الكتـــب الحديث، الأردن، ط1، 2006م.

41. الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط4.

42. رابح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 1429هـــ-

2009م.

43. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض، ط1(1430هـ-2009م).

44. رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988م.

45. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1401هـ-1980م.

46. الرضي الاسترابادي، شرح الكافية، تحقيق: محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ-1982م.

47. الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، ط4.

48. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث العلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1985م.

49. زهير بن أبي سلمى، الديوان تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2(1426هـ-2005م).

50. سعد الدين مصطفى، أصول التوجيهين النحوي والصرفي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،ط1، 2010م.

51. سعيد بن مسعدة الأخفش، معاني القرآن، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين، علم الكتب.

52. سمية طارق خضر، حروف المعاني الزائدة ودلالاتها، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط1، 1427هـ-2007م.

53. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1350هـ-1932م.

54. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402هـ-1982م.

55. سيد خضر، أبحاث في النحو والدلالة،مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م.

56. السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ-2009م.

57. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط13، 1993م.

58. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط33، 1425هـ-2004م.

59. ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، تحقيق :محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1427هـ-2006م.

60. شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1422هـ-2001م).

61. شهاب الدين العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، العثمانية، الهند، (1392هـ-1972م).

62. صبيح التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

63. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983م.

64. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسي للنشر، تونس، 1984م.

65. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، 1391هـ-1971م.

66. أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1962م.

67. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط8.

68. عبد الحميد الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429هـ-2008م.

69. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط5(2006م).

70. عبد العال سالم مكرم، من الدراسات القرآنية، القاهرة، ط1(2002م).

71. عبد الفتاح أحمد الحموز، التأويل النحوي في القرآن، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1،

1404هـ-1984م.

72. عبد الفتاح خالدي، إعجاز القرآن البياني ومصدره الرباني، دار عمار، ط1، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ-2000م.

73. عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن -الفاصلة القرآنية - دار المريخ، الرياض، 1402هـ-1982م.

74. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1(1986م).

75. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، محمود محمد شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1989م.

76. عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

77. عبد الله الخثران، ظاهرة التأويل في الدرس النحوي، النادي الأدبي، الرياض، ط1، 1408هـ-1988م.

78. أبو عبد الله الفارسي، شرح الفارسي على الشاطبية المسمى اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، تحقيق: عبد الرزاق موسى، مكتبة الرشد، الرياض، ط1(1426هـ-2005م).

79. أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تعليق :محمد ابراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ-2007م.

80. عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط7،(1413هـ-1993م).

81. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، النهضة العربية، بيروت، 1407هـ-1986م.

82. أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سوزوكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

83. ابن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الزجاج، تحقيق: صاحب أبو جناح.

84. العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر (1336هـ-1914م)، بيروت، 1982م.

85. علي أبو القاسم، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، دار المدار الإسلامي، بيروت،

2006م.

86. عماد عبد يحي، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دار دجلة، عمان، ط1، 2009م.

87. أبو عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الهلال، بيروت، 1988.

88. أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1416هـ-1996م).

89. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت، 1993م.

90. فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، دار عمار، الأردن، ط5، 1430هـ-2009م.

91. فاضل السامرائي،التعبير القرآني، دار عمار،عمان- ط2، 1422هـ-2002م.

92. فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط2(1422هـ-2001م).

93. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م.

94. أبو الفتح ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1419هـ-1998م).

95. أبو الفتح بن جني،سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا،مطبعة مصطفى الحلبي .

96. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط2.

97. فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، تحقيق: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م.

98. فخر الدين محمد الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، 1983.

99. أبو الفدا عماد الدين ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ضبط :حسن بن ابراهيم الزهران، دار الفكر، ط1، 1421هـ-2008م.

100. أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م.

101. فضل حسن عباس، لطائف المنان في نفي الزيادة والحذف من القرآن، دار النفائس، الأردن، ط3، 1430هـ-2010م.

102. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المطبعة الميرية، مصر، ط3، 1302هـ.

103. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت، دار صادر، 1385هـ-1965م.

104. أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، 1987م.

105. القاضي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1999م.

106. القاضي شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ضبط: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1417هـ-1997م).

107. ابن قتيبة، أدب الكاتب، تقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2009م.

108. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ-1973م.

109. ابن قيس الرقيات، الديوان تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

110. ابن مالك، تسهيل الفوائد،تحقيق :محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009م.

111. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ-2006م.

112. محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ط2، دار عمار، الأردن، 2000م.

113. محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2008م.

114. محمد رشيد رضا عن أستاذه محمد عبده، تفسير المنار، تعليق: سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م.

115. محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430هـ-

2009م.

116. محمد عبد المطلب، البلاغة الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1984م.

117. أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي، دار تراث الإسلامي، ط2.

118. محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1432هـ-2003م.

119. محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبد القاهر أحمد عطا، دار بوسلامة، تونس.

120. محمود نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء عم، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

121. المرادي، حروف الهجاء، تحقيق: أشرف القصاص، دار ابن حزم، 1431هـ-2010م.

122. مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2007م.

123. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط8، 1384هـ-1965م.

124. ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988م.

125. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تعليق: خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1(1418هـ-1998م).

126. النابغة الذبياني، الديوان تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2(1426هـ-2005م).

127. نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية.

128. ناصر الدين البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت، 1982م.

129. هادي نهر، التفسير اللغوي و الاجتماعي للقراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1429،1هـ-2008م.

130. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط1، 1429هـ-2008م.

131. ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الطلائع، الرياض، 2004.

132. ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب.

133. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 2007م.

134. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت 1406هـ-1986م.

135. يحي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الدار المصرية.

136. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م.

137. ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

الرسائل الجامعية والمجلات العلمية :

1. أحمد إسماعيل عبد الكريم، مقال: تناسب الفواصل القرآنية، مجلة آفاق الثقافة والتراث،مصر، قنا، ع 59.

2. رزيقة طاوطاو، البنية الحوارية في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1431هـ-2010م.

3. صلاح يوسف عبد القادر،الصوت والدلالة، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003، ع3.

4. عبد الرحيم عزاب، بنية الإيقاع في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، 2009م.

فهرس المحتويات

مقدمة .....أ

المـــــدخل:الفاصلة القرآنية وبنيتها الإيقاعية

1 ــ تعريف الفاصلة القرآنية..... 2

2-موقف العلماء من الفاصلة القرآنية.....8

3-حروف الفاصلة القرآنية.....11

4- قيمة حروف المدّ واللّين في الفاصلة القرآنية.....18

5ــ مراعاة النظم القرآني للفاصلة القرآنية 20

الفصـــــل الـــأوّل: أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرتي التقديم والتأخير والحذف

المبحث الأول: أثر الفاصلة القرآنية في التقديم والتأخير 25

القسم الأول: ما يختصّ بالجملة الإسمية..... 31

1 ــ تقديم الخبر على المبتدأ 31

2 ــ تقديم خبر كان على إسمها 33

3 ــ تقديم خبر إنّ على اسمها 34

القسم الثاني: ما يختصّ بالجملة الفعلية..... 36

1 ــ تقديم المفعول به على الفاعل 36

2 ــ تقديم المفعول به على الفعل.....38

3 ــ تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول.....40

القسم الثالث: ما يختصّ بالمكملات.....42

1 ــ تقديم المفعول المطلق 42

2 ــ تقديم الحال على عاملها 44

3 ــ تقديم النعت على منعوته 45

4 ــ تقديم أشباه الجمل 47

المبحث الثاني: أثر الفاصلة القرآنية في الحذف.....52

1 ــ حذف المفعول به.....59

2 ــ حذف حرف من بنية الكلمة.....65

أ ــ ياء المتكلم 66

ب ــ الاسم المنقوص 69

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج ــ ياء الفعل المضارع غير المجزوم 70
3 ــ حذف تمييز العدد..... 73
4 ــ حذف متعلق أفعل التفضيل..... 77

الفصل الثاني: أثر الفاصلة القرآنية في ظاهرتي الزيادة والتضمين

المبحث الأول: أثر الفاصلة القرآنية في الزيادة 82
1 ــ زيادة هاء السكت..... 89
2 ــ زيادة الألـــــــف..... 93
3 ــ زيادة لعلّ..... 97
المبحث الثاني: أثر الفاصلة القرآنية في التضمين..... 101
1 ــ وضع فعل موضع آخر..... 107
2 ــ وضع الظاهر في موضع المضمر..... 110
3 ــ وضع مصدر في موضع آخر..... 111
4 ــ وضع صيغة محل صيغة أخرى..... 115

الفصـــــل الثالث: أثر الفاصلة القرآنية في الصّيغ الصرفية وبعض التراكيب

المبحث الأول: الاختلاف في التذكير و التأنيث..... 121
1 ــ إحلال المؤنث محل المذكر..... 122
2 ــ إحلال المذكر محل المؤنث..... 123
المبحث الثاني: الاختلاف في العدد..... 128
أ ــ إحلال المفرد محل المثنّى 129
ب ــ إحلال المثنّى محل المفرد..... 128
جـــ ــ إحلال الجمع محل المثنّى 132
د ــ إحلال المفرد محل الجمع..... 132
هـــ ــ إحلال الجمع محل المفرد 134
المبحث الثالث: صرف ما لا ينصرف..... 136
المبحث الرابع: الاستغناء ببعض الصيغ والتراكيب عن غيرها للفاصلة..... 140
1 ــ إيثار بعض صيغ المبالغة على بعض 140
2 ــ إيثار جمع تكسير على آخر..... 142
3 ــ إيراد الجملة التي ردَّ بها على ما قبلها على غير وجه المطابقة 143

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 ــ إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر.....143
5 ــ إيثار أغرب اللّفظين..... 143
6 ــ عدول بعض الكلمات عن أصلها الصّرفي أو تغيير بنية الكلمة.....146
7 ــ الجمع بين المجرورات.....147
الخاتمة..... 148

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية..... 152
فهرس الأبيات الشعريـــة..... 165
ثبت المصادر والمراجع..... 166
فهرس المحتويات 176

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية